تحقيق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به هذا
الحديث من صحاح المصابيح رواه عبد الله بن عمرو بن العاص ومعناه ان احدكم لا يبلغ
درجة كمال الايمان حتى يخالف هواه ويتبع الحق ولا يسلط هواه على الحق بل يكون الحق الذي
جئت به مسلطاً على الهوى فان من يعمل هوى نفسه لا يزيد نفسه شيئا الا يزكيها ويخالف
مولاه ويجعل هواه الهاً لنفسه كانه يعبده ولهذا قال النبي عم ما عبد تحت السماء اله ابغض
الى الله تعالى من الهوى وفي رواية ان ابغض اله عبد في الارض عند الله تعالى هو الهوى وفي
الحقيقة ان من تامل يعلم ان من يعبد الصنم لا يعبد الصنم وانما يعبد هواه لكون نفسه مائلة
الى دين اباءه فيتبع ذلك الميل الذي يعبر عنه بالهوى اذ من عادة اهل الهوى ان يستحسنوا
كل من يوافق هواهم وان كان جالبا لكل شر ووبال وان يستقبحوا كل ما يخالف اهوائهم
وان كان جالبا لكل خير ونوال فالسعيد من يخالف هواه ويطيع مولاه والشقي
من يتبع هواه ويخالف مولاه ويكون لها الحال لان من يتبع هواه يفعل ما يضره
او يهلك حالاً او مآلاً وهو لا يشعر ولو يشعر لكن لخفة عقله يرجح اللذة الحاضرة التي
لا بقاء لها على العقوبات العظيمة التي لا نهاية لها ويظن لعمى بصيرته وغاية
حماقته انه ظفر بشيء من اللذائذ ولا يعلم ذلك الا حين ان يخرج من الدنيا ويرى انه لم
يظفر بشيء من اللذائذ اصلا لا من لذائذ الدنيا ولا من لذائذ الاخرة بل اتبع
هواه فيما ليس بشيء لان لذائذ الدنيا عنه تزول ولذائذ الاخرة ليس له اليها الوصول
فيبقى في حسرة وندامة حين لا ينفعه الندم وقد قال ابن عباس ما ذكر الله الهوى في
القرآن الا ذمه فانه تعالى قال بل اتبع الذين ظلموا اهواءهم بغير علم وقال وان كثيرا
ليضلون باهوائهم بغير علم وقال ومن اضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله فعلم من هذه

الآيات ان اتباع الهوى لا يكون في الاكثر الا بغير علم بالحق فلا بد للمؤمن ان يعرف الحق ويميزه
عن الباطل ويعمل بالحق ويختاره على الباطل لان من لم يعرف الحق فهو ضال ومن علمه
واختار عليه غيره فهو مغضوب عليه ومن عرفه واتبعه فهو منعم عليه وقد امرنا الله تعالى ان نسأله
في كل يوم وليلة مرات عديدة ان يهدينا صراط الذين انعم عليهم غير المغضوب عليهم
ولا الضالين وبين في ضمنه ان اهل السعادة هم الذين عرفوا الحق واتبعوه وكانوا
مهتدين وان اهل الشقاوة هم الذين لم يعرفوا الحق بل جهلوه وخرجوا منه وكانوا
ضالين او عرفوه وخالفوه ولم يتبعوه بل اتبعوا غيره وكانوا مغضوبا عليهم وقد
ثبت في الحديث ان المغضوب عليهم اليهود والضالين النصارى وانما سمي اليهود
بالمغضوب عليهم والنصارى بالضالين مع كون كل واحد منهما ضالا ومغضوبا
عليه لكون كل واحد منهما مختصا بما غلب عليه من الجهل والعناد فان اليهود كانوا امة
عناد فتخصصوا بالغضب والنصارى كانوا امة جهل فتخصصوا بالضلال ولهذا قال
سفيان بن عيينة من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود لان اليهود عرفوا
الحق ولم يتبعوه بل عدلوا عنه وكانوا مغضوبا عليهم ومن فسد من عبادنا ففيه
شبه من النصارى لان النصارى لم يعرفوا الحق بل جهلوه وكانوا ضالين فان الله تعالى
جعل العبادة سببا للثواب والمعصية سببا للعقاب فمن يرجو الثواب
ويخاف العذاب لا بد ان يعرف العبادة والمعصية ليشتغل بالاولى ويصل الى الثواب
ويحترز عن الثانية وينجو من العذاب لان من لم يعرفهما ولم يفرق بينهما يقع احدهما
مقام الآخر فيكون من الخاسرين وذلك لان في قلب الانسان قوتين قوة العلم وقوة
الارادة وهما لا تتعطلان ابدا ولا يحصل عمل الا بهما سواء كان خيرا او شرا لان من يفعل

شيئا

شيئا سواء كان خيرا او شرا لا يفعله ما لم يرده ولا يريده ما لم يعلمه فكمال الانسان وصلاحه
باستعمال هاتين قوتين فيما ينفعه في الدارين ويعينه في نيل الدولتين فلا بد له من استعمال
قوة العلم في ادراك الحق وتميزه عن الباطل واستعمال قوة الارادة في طلب الحق
وايثاره على الباطل لانه اذا لم يستعمل قوته العلمية في معرفة الحق وادراكه فلا جرم انه
يستعملها في معرفة الباطل وما يليق به واذا لم يستعمل قوته الارادية في طلب الحق
والعمل به فلا شك انه يستعملها في طلب الباطل والعمل به ثم ان الانسان مجبول على
معرفة صانعه وبمقتضى طبعه عبادة خالقه والتقرب اليه بحكم الفطرة التي فطر الناس
عليها لكن لا عبرة بالمعرفة الجبلية والعبادة الطبيعية لانها تكون على مقتضى النفس
ومتابعة هواها فلا تخلو عن شوب الشرك وانما المعتبر المعرفة او العبادة على وفق
الشرع لا على وفق الطبع الا ترى ان ابليس كان في طبعه السجود لربه حتى عبد الله تعالى فيما
يروى ثمانين الف سنة وانتظم بكثرة عبادته في سلك الملائكة المقربين ثم لما امر بالسجود
على خلاف طبعه ابى واستكبر وكان من الكافرين فان من يتبع طبعه وهواه فانه
لا يفعل شيئا من المعروفات الا ما يوافق هواه ولا يترك شيئا من المنكرات اصلا الا
ما يخالف هواه وقد قال بعض السلف من لم يعمل من الحق الا ما يوافق هواه ولم يترك
من الباطل الا ما يخالف هواه لا يحصل اجر ما عمل من الحق ولا ينجو من وزر ما ترك
من الباطل بل يكون هذا سببا لسوء خاتمته وشؤم عاقبته فان لسوء الخاتمة اسبابا
يجب على المؤمن ان يحترز عنها منها الفساد في الاعتقاد وان كان مع كمال الزهد
والصلاح فان من كان له فساد في اعتقاده مع كونه قاطعا متيقنا به غير ظان انه
اخطا فيه قد ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقده فيظن

ان سائر ما اعتقده من الاعتقادات الحقة مثل هذا الاعتقاد باطل لا اصل له اذ
لم يكن عنده فرق بين اعتقاده واعتقاده فيكون انكشاف بطلان بعض اعتقاداته
سببا لزوال بقية اعتقاداته فان خرج روحه في هذه الحالة قبل ان يتدارك ويعود الى
اصل الايمان يختم له بالسوء ويخرج من الدنيا بغير ايمان فيكون من الذين قال الله تعالى
فيهم وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وقال في آية اخرى قل هل ننبئكم بالاخسرين
اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فان كل
من اعتقد شيئا على خلاف ما هو عليه اما نظرا برأيه وعقله او اخذا ممن هذا حاله فهو
واقع في هذا الخطر ولا يدفعه الزهد والصلاح وانما يدفعه الاعتقاد الصحيح المطابق لكتاب
الله تعالى وسنة رسوله لان العقائد الدينية لا يعتد بها الا ما اخذت منهما ومنها الاصرار
على المعاصي فان من له اصرار على المعاصي يحصل في قلبه الفها وجميع ما الفه الانسان في
عمره يعود ذكره عند موته فان كان ميله الى الطاعات اكثر يكون اكثر ما يحضره
عند الموت ذكر الطاعات وان كان ميله الى المعاصي اكثر يكون اكثر ما يحضره عند الموت
ذكر المعاصي فربما يغلب عليه حين نزول الموت به قبل التوبة شهوة من الشهوات
ومعصية من المعاصي فيتقيد قلبه بها ويصير حجابا بينه وبين ربه وسببا لشقاوته
في آخر حيوته لقوله عم المعاصي بريد الكفر والذي لم يرتكب ذنبا اصلا او ارتكب وتاب
فهو بعيد عن هذا الخطر واما الذي ارتكب ذنوبا كثيرة حتى كانت اكثر من طاعاته
ولم يتب عنها بل كان مصرا عليها فهذا الخطر في حقه عظيم جدا اذ قد يكون
غلبة الالف بها سببا لان يتمثل في قلبه صورتها ويقع منه ميل اليها ويقبض
روحه عليها فيكون سببا لسوء خاتمته ويعرف ذلك بمثال وهو ان الانسان

لا شك

بلا شك انه يرى في منامه من الاحوال التي الفها طول عمره حتى ان الذي قضى في العلم
عمره يرى من الاحوال المتعلقة بالعلم والعلماء والذي قضى عمره في الخياطة يرى من الاحوال
المتعلقة بالخياطة والخياط اذ لا يظهر في حال النوم الا ما حصل له مناسبة مع
قلبه بطول الالف والموت وان كان فوق النوم لكن سكراته وما يتقدمه من الغشية
قريب من النوم فطول الالف بالمعاصي يقتضي تذكرها عند الموت وعودها في القلب
وتمثلها فيه وميل النفس اليها وان قبض روحه في تلك الحالة يختم له بالسوء
ومنها العدول عن الاستقامة فان من كان مستقيما في ابتدائه ثم تغير عن حاله
وخرج عما كان عليه في ابتدائه يكون سببا لسوء خاتمته كابليس الذي كان في ابتدائه
رئيس الملائكة ومعلمهم واشدهم اجتهادا في العبادة حتى قيل لم يبق في سبع
سموات وسبع ارضين موضع شبر الا وهو قد سجد فيه ثم لما امر بالسجود لآدم ابى
واستكبر وكان من الكافرين وكبلعام بن باعورا الذي آتاه الله آياته فانسلخ
بخلوده الى الدنيا واتباع هواه وكان من الغاوين وكبرصيصا العابد الذي
قال له الشيطان اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين
فان الشيطان اغراه على الكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله تبرؤا منه
مخافة ان يشاركه في العذاب ولم ينفعه ذلك كما قال الله تعالى وكان عاقبتهما انهما
في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين ومنها ضعف الايمان فان من كان
في ايمانه ضعف يضعف حب الله تعالى فيه ويقوى حب الدنيا في قلبه ويستولي عليه بحيث
لا يبقى فيه موضع لحب الله تعالى الا من حيث حديث النفس بحيث لا يظهر له اثر في مخالفة
النفس ولا يؤثر في الكف عن المعاصي ولا في الحث على الطاعات فينهمك في الشهوات

وارتكاب السيئات فتراكم ظلمات الذنوب على القلب فلا تزال تطفئ ما فيه من نور الايمان
مع ضعفه فاذا جاءت سكرات الموت يزداد حب الله تعالى ضعفا في قلبه لما يرى انه يفارق
الدنيا وهي محبوبة له وحبها غالب عليه لا يريد تركها ويتألم من فراقها ويرى ذلك من الله تعالى
فيختلج في باطنه نقيضه تعالى بدل الحب وينقلب ذلك الحب الضعيف بغضا فان
خرج روحه في اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة يختم له بالسوء ويهلك هلاكا
مؤبدا والسبب المفضي الى هذه الخاتمة حب الدنيا والركون اليها والفرح بها مع
ضعف الايمان الموجب لضعف حب الله تعالى وهو الداء العضال قد عم اكثر الخلق
فان من يغلب على قلبه عند الموت امر من امور الدنيا تتمثل ذلك الامر في قلبه
ويستغرقه حتى لا يبقى لغيره متسع فان خرج روحه في تلك الحالة يكون رأس قلبه
منكوسا الى الدنيا ووجهه مصروفا اليها ويحصل بينه وبين ربه حجاب ولا يمكنه
ان يكتسب بعد الموت صفة اخرى تضادها صفة الغالبة عليه اذ لا تصرف في القلوب
الا باعمال الجوارح وبالموت تبطل الجوارح واعمالها ولا مطمع في الرجوع الى الدنيا
حتى يمكن التدارك ويبقى في حسرة وندامة فمن اراد النجاة من هذه الورطة فعليه
بعد اخراج حب الدنيا من قلبه وحفظ جوارحه عن المعاصي وقلبه عن التفكر فيها والاحتراز
عن مشاهدتها ومشاهدة اهلها لان ذلك ايضا يؤثر في قلبه ويصرف فكره اليها
ان يواظب على الطاعات لكونها ثمرة محبة الله تعالى ولا يتصور الا بعد معرفته تعالى
اذ لا يحب الانسان ما لا يعرفه وانما يحب ما يعرفه فمن عرف الله تعالى وعرف ان جميع النعم
الواصلة اليه والى غيره ليس الا منه تعالى لا جرم يحبه فاذا احبه سعى في تحصيل مرضاته
بالاحتراز عن الافعال القبيحة والاشتغال بالاعمال الحسنة فعلم من هذا ان المقصود
من العلوم

اي الى حب الدنيا

من العلوم والاعمال معرفة الله تعالى حتى تثمر المعرفة المحبة اذ لا ينبغي الا ان
يفارق الدنيا الا محبا لله محبا للقائه فان من احب لقاء الله تعالى احب الله لقائه
ومن قدم على محبوبه يعظم سروره بقدر محبته لا محبا للدنيا لانه يفارقها ومن
يفارق محبوبه يشتد المه وعذابه فمهما كان الغالب على القلب حب الولد والمال والمسكن
والعقار فهذا رجل جميع محابه في الدنيا والدنيا جنته فموته خروج من الجنة وحيلولة
بينه وبين محبوبه ولا يخفى الم من يحال بينه وبين محبوبه واما اذا لم يكن له محبوب
سوى الله تعالى فالدنيا سجنه فموته خروج من السجن وقدوم على محبوبه ولا يخفى
فرح من نجا من السجن ولقي محبوبه فهذا اول ما يلقاه كل من يفارق الدنيا
عقيب موته من الفرح والالم فضلا عما اعده الله تعالى من النعيم المقيم لعباده
الصالحين ومن العذاب الاليم للذين استحبوا الحيوة الدنيا ورضوا بها
ولم يشتهوا لقاء الله تعالى وحكي ان سليمان بن عبد الملك لما دخل المدينة
حاجًّا قال هل بها رجل ادرك عدة من الصحابة قالوا نعم ابو حازم فارسل
اليه فلما اتاه قال يا ابا حازم ما لنا نكره الموت قال انكم عمرتم الدنيا وخربتم
الاخرة فتكرهون الخروج من العمران الى الخراب قال صدقت ثم قال ليت
شعري ما لنا عند الله تعالى غدا قال اعرض عملك على كتاب الله تعالى قال فاين
اجده قال في قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم قال فاين رحمة الله
قال ان رحمة الله قريب من المحسنين قال ليت شعري كيف العرض
على الله تعالى غدا قال اما المحسن فكالغائب ياتي الذي يقدم على اهله واما المسيء فكالابق
يقدم على مولاه فبكى سليمان حتى علا صوته واشتد بكاؤه ثم قال اوصني

قال اياك ان يراك الله تعالى حيث نهاك او يفقدك حيث امرك المجلس العاشر

في بيان الفرق بين المومن والمسلم وبين المجاهد والمهاجر قال رسول الله صلعم

المومن من امنه الناس على دمائهم واموالهم والمسلم من سلم المسلمون من يده
ولسانه والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله تعالى والمهاجر من ترك الخطايا والذنوب
هذا الحديث من حسان المصابيح رواه فضالة بن عبيد ومعناه ان المومن
ليس من يدعي الايمان فقط بل المومن الكامل في ايمانه هو الذي اظهر الامانة والاستقامة
بحيث يكون الناس منه امنا لا يخافونه على سفك دمائهم واخذ اموالهم ظلما
والمسلم ليس من يتكلم بكلمة الشهادة فقط بل المسلم الكامل في اسلامه هو الذي
لا يوذي احدا من المسلمين لا باللسان بالشتم والغيبة والنميمة والبهتان ولا بيده
بالضرب والقتل واخذ ماله بغير حق وانما خص اليد واللسان بالذكر من بين
سائر الاعضاء مع ان الايذاء كما يكون بهما يكون بغيرهما من الاعضاء كالعين
والاذن والرجل اذا نظر الى بيت الغير واستمع قولا لا يرضاه او دخل
ملكه بغير اذنه لان اكثر الايذاء يحصل بهما واما الجمع بينهما فلان كف اليد يحتمل ان يكون
بسبب الضعف وعدم القدرة واذا ضم اليه كف اللسان يتعين ان كف اليد كان
للاسلام والمجاهد ليس من يقاتل الكفار فقط بل المجاهد الكامل من يقاتل النفس
ويحملها على طاعة الله تعالى ويمنعها عن معصية الله تعالى لان نفس الانسان اشد عداوة
معه من الكفار لكون الكفار في البعد بمكان لا يتفق تلاحقهم به وتقاتلهم معه الا حينا
بعد حين واما النفس فانها ابدا تلازمه وتقاتله وتمنعه عن الخيرات والطاعات
وتحمله على المعاصي وانواع الفساد ولا شك ان القتال مع العدو الملازم

اهم

اهم من القتال مع العدو البعيد لهذا قوله تعالى يا ايها الذين امنوا قاتلوا الذين
يلونكم من الكفار فانه تعالى امر المؤمنين ان يبتدءوا القتال الكفار الذين كانوا
اقرب منهم فاذا فرغوا من الاقرب فليقاتلوا الابعد والمهاجر ليس من هاجر من مكة
الى المدينة قبل فتح مكة فقط حتى تنقطع الهجرة بعد فتح مكة بل الهجرة باقية الى يوم
القيمة لانها انتقال من الكفر الى الايمان ومن دار الحرب الى دار الاسلام ومن
السيئات الى الحسنات وهذه الاشياء باقية ما دام التكليف باقيا والمهاجر الكامل
هو الذي يترك جميع ما نهى الله تعالى عنه من المعاصي ويشتغل بما امر الله تعالى به من محاسن
الاعمال كما جاء في حديث اخر انه عليه الصلوة والسلام قال المهاجر من هجر
ما نهى الله تعالى عنه فانه عليه الصلوة والسلام بين في هذا الحديث ان الهجرة التامة
الكاملة هي هجران الفواحش والمنكرات والجد في الطاعات والعبادات لكن ينبغي
ان يعلم ان صحة الطاعات والعبادات موقوفة على صحة الاعتقاد لان
الايمان اصل والعمل فرع والعبد اذا لم يعرف ما الايمان والهداية لا يعرف
ما الكفر والضلالة فتارة تجري على لسانه كلمة التوحيد على طريق الاعتياد
لا بالعلم والاعتقاد وتارة يتلفظ بالفاظ الكفر ويدخل في الارتداد ومن
كان في الاعتقاد بهذه المرتبة لو بقي الف سنة في الصوم والصلوة لن ينفعه
ذلك الاعتقاد يوم العرض الاكبر ومصيره الى النار ومن زعم انه مسلم
وتقاعد عن تعلم قدر ما هو فرض عين عليه من عقائد الايمان لا يوجد فيه من
الايمان الا مجرد الدعوى وهذا النوع من الايمان انما يظهر فايدته في الدنيا حيث
لا يؤخذ منه الجزية كما تؤخذ من الكفار لكن يتعذر له الوصول في العقبى

الى درجة الابرار فان العبد بمجرد الاتيان بكلمة الشهادة تقرب الفاظ الايمان
على طريق العادة وعد نفسه من المومنين من غير فهم معناها لا يصير مومنا بينه وبين
الله تعالى حتى يصدق بقلبه جميع شرائعه وينقاد في جميع احكامه ولا يشك ولا يتردد
في شيء منها ولوجود هذا التصديق والانقياد في القلب علامات منها ان لا يفرغ
عن امر دينه بل يسعى في اصلاحه بتعلمه من اهله والعمل به ومنها ان لا يضيق على قلبه اذا
امر عن شيء عن امر دينه ولا يتهاون به ولا ينكر عنه بل يقبله ويطيعه وان كان
ذلك الامر في غاية الصعوبة والمخ في غاية الحقارة ومنها ان لا يكون هواه امرا
والشرع تابعا له بان لا ياخذ من الشرع شيئا الا ما يوافق هواه بل يجب ان يكون الشرع له
اميرا وهواه اسيرا له فلا ياخذ من هواه ومراده شيئا الا باذن الشرع وان كان فيه
نقصان المال والجاه والعرض كما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يومن احدكم حتى
يكون هواه تبعا لما جئت به فاذا وجد في العبد تلك العلامات كان مومنا حقا
وهذا هو الايمان المنجي من العذاب الابدي لكن بشرط التحفظ من جميع ما يهدم هذا
التصديق وينافيه مما يجري على قلبه ولسانه وسائر جوارحه مما يوجب الكفر فان الايمان
لا يزول الا بالكفر والكفر ثلاثة انواع النوع الاول كفر جهلي وسببه عدم الاصغاء
وعدم الالتفات وعدم التامل في الايات والدلائل مثل كفر العوام فان اكثرهم
لا يعرفون ما وجب عليهم معرفته من عقائد الايمان بل بعضهم ينطق بكلمة الشهادة
لكن لا يعرف معناهما ولا يميز بين الله تعالى ورسوله والنوع الثاني كفر جحودي وسببه
اما الاستكبار مثل كفر فرعون وملائه او خوف زوال الرياسة وعدم الوصول
اليها مثل كفر هرقل او خوف الذم والتعيير مثل كفر ابي طالب والنوع الثالث
كفر

كشد الزنار

كفر عملي وهو ما جعله الشرع من علامات التكذيب كشد الزنار وسجود الصنم او كان عن
الاستخفاف بما يجب تعظيمه كالقاء المصحف في المزبلة واستهزاء العلم والعلماء وما هو من امور الدين
او عن استحلال ما حرم لعينه وثبت حرمته بدليل قطعي كالزنا وشرب الخمر ومن
فعل شيئا من ذلك يحبط جميع اعماله الدينية فيلزم تجديد النكاح وتكرار الحج ان كان
قادرا بعد التوبة واما غير تلك الذنوب صغيرة كانت او كبيرة فلا يخرج المومن
بفعلها من الايمان بل يكون فاسقا لكن يخاف عليه امر عظيم عند الشرع ان كان
مصرا عليها ولم يتب عنها لما روي انه عم قال المعاصي بريد الكفر فان الاصرار على الصغائر
يفضي الى الكبائر والاصرار عليهما يودي الى الكفر فعلى هذا يجب على كل مومن ان يتوب
عن الذنوب كلها في الحال لان التوبة عن الذنوب صغيرة كانت او كبيرة واجبة
على الفور اما وجوبها فلقوله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون ولقوله تعالى
يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا فانه تعالى قد امر في هاتين الايتين بالتوبة
والامر للوجوب فيكون التوبة واجبة واما وجوبها على الفور فلئلا يلزم بالتاخير
الاصرار المحرم يودي الى الهلاك لما روي عن ابن عباس انه عم قال هلك المسوفون و
المسوف من يقول سوف اتوب وفي حديث اخر انه عم قال كل بني
آدم خطاء وخير الخطائين التوابون فلا بد للمومن ان يداوم على التوبة ليكون من
التوابين فانه تعالى دعا عبادة المومنين بعدما اذنبوا الى التوبة وامرهم بها وسماهم
المومنين ثم بين ما لهم من الكرامة والمغفرة فقال عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم
ويدخلكم جنات تجري من تحتها الانهار وقال في آية اخرى والذين اذا فعلوا فاحشة
او ظلموا انفسهم ذكروا الله واستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا

على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها
الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين ثم اخبر انه يحبهم لتطهرهم بالتوبة عن نجاسة
الذنوب فقال ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فاذا كان الامر كذلك
فكيف لا تشتمل المؤمن بالتوبة وكيف ينفك عنها لكن لها اربعة شروط
ان اخل بشرط منها لا يتحقق التوبة الاول الندم بالقلب على ما فعل من الذنوب
في الماضي والثاني ترك المعصية في الحال والثالث العزم على ان لا يعود الى
مثلها في الاستقبال والرابع ان يكون ذلك خوفا من الله تعالى لا لامر اخر
فان من ندم على شرب الخمر وترك لما فيه من الصداع وزوال العقل والخلل
بالمال والعرض لا يكون تائبا شرعا ولا ينال الثواب الموعود للتائبين وكذلك
من قال بلسانه استغفر الله وقلبه مصر على المعصية فاستغفاره ذلك
يحتاج الى استغفار مقارن بالندم لما روي ان عليا رأى رجلا قد فرغ من
صلوته وقال سريعا اللهم اني استغفرك واتوب اليك فقال علي يا هذا ان
سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك تحتاج الى توبة وعن الحسن البصري
انه قال استغفارنا يحتاج الى استغفار قال القرطبي هذا قوله في زمانه فكيف في هذا
الزمان الذي يرى الانسان فيه مكبا على الظلم حريصا عليه ولا يقلع منه والسبحة في يده
يزعم انه يستغفر منه وذلك استهزاء منه واستخفاف لما روي انه عم قال المستغفر
باللسان المصر على الذنب كالمستهزئ بربه وانما التوبة ان يستغفر بلسانه وينوي
بقلبه ان لا يعود الى الذنب اصلا فاذا فعل ذلك يغفر الله له ذنبه وان كان ذنبه
عظيما اذ ليس ذنبا اعظم من الكفر وقد قال الله تعالى في حق اهل الكفر قل للذين كفروا

ان

ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فاطلبك فيما دونه من المعاصي وقد روي انه عليه الصلوة
والسلام قال لو اخطا احدكم حتى يملا ما بين السماء والارض ثم تاب تاب الله عليه وفي
حديث اخر انه عم قال ان العبد اذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه يعني انه اذا
اقر بكونه مذنبا ثم ندم على ما فعل من الذنوب وعلى ما اكتسب من السيئات وعزم
ان لا يعود الى امثاله فيقبل الله تعالى توبته ويتجاوز عن سيئاته لكن ينبغي ان يعلم ان الذنب
على نوعين ذنب بينه وبين الله تعالى وذنب بينه وبين العباد فالذنب الذي
بينه وبين الله يكفي فيه الاستغفار باللسان والندم بالقلب والعزم على ان لا يعود
فاذا فعل ذلك لا يبرح من مكانه حتى يغفر له ذنبه الا ان يكون عليه شي
من فرايض الله تعالى فان الشرع لا يكتفي فيه بمجرد التوبة بل اضاف الى ذلك
في البعض قضاء كالصلوة والصوم وغيرهما وفي البعض كفارة واما
حقوق الادميين فلا بد من ايصالها الى مستحقها فان لم يوجدوا يلزم
تصدقها عنهم بنية ان يكون وديعة عند الله تعالى يوصلها الى اصحابها
يوم القيمة فمن لم يجد سبيلا لخروجه عما عليه من التبعات لاعساره فعليه
ان يكثر من الاعمال الصالحات ويستغفر لمن ظلمه من المومنين والمومنات
في اكثر الاوقات فانه اذا فعل كذلك يرجى من فضل الله ان يرضي
خصماءه يوم القيمة بلطفه وكرمه **المجلس العاشر** في بيان افضل
الذكر وافضل الدعاء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الذكر لا اله
الا الله وافضل الدعاء الحمد لله هذا الحديث من حسان المصابيح رواه جابر وانما
جعل فيه الحمد لله من افضل الدعاء لان الدعاء عبارة عن ذكر العبد ربه وسواله عنه

ففضله ففي الحمد لله هذا المعنى موجود اذ فيه ذكر الرب وطلب المزيد لانه راس الشكر
والعمدة فيه بقوله عم الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وان الشكر يستلزم الزيادة
بقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم فمن قال الحمد لله يصير كانه سائل عنه تعالى زيادة
فضله بعد الثناء عليه واما كون لا اله الا الله من افضل الاذكار فلان فيه معنى
لا يوجد في ذكر غيره وبمعرفة ذلك المعنى يحصل للمكلف جميع ما يجب عليه
معرفته في حقه تعالى وذلك المعنى اثبات الالوهية له تعالى ونفيها عما عداه
ويندرج في معنى الالوهية جميع ما يجب على المكلف معرفته مما يجب على المكلف
معرفته مما يجب في حقه تعالى وما يستحيل عليه وما يجوز له لان الالوهية تشتمل
على معنيين احدهما استغناؤه تعالى عن جميع ما سواه والثاني افتقار جميع
ما عداه اليه تعالى فعلى هذا يكون معنى كلمة التوحيد لا مستغني عن جميع ما سواه
ولا مفتقر اليه جميع ما عداه الا الله تعالى اما استغناؤه تعالى عن جميع ما سواه فيوجب له تعالى
الوجود والقدم والبقاء اذ لو لم يجب له تعالى هذه الصفات لكان محتاجا
الى محدث لان انتفاء شيء من هذه الصفات يستلزم الحدوث وكل
حادث مفتقر الى محدث وكذا يوجب له تعالى التنزه عن النقائص ويدخل
في التنزه عن النقائص وجوب السمع والبصر والكلام اذ لو لم يجب له تعالى هذه الصفات
لكان متصفا بالنقائص ومحتاجا الى من يدفع عنه تلك النقائص وكذا يوجب له تعالى
التنزه عن الاغراض في افعاله واحكامه اذ لو لم يجب له تعالى التنزه عن الاغراض
لكان محتاجا الى ما يحصل به غرضه وكذا يوجب له تعالى ان لا يجب عليه فعل شيء من
الممكنات ولا تركه اذ لو وجب عليه شيء منها لكان محتاجا الى ذلك الشيء
ليكمل

يكمل به اذ لا يجب له تعالى الا ما هو كمال واما افتقار جميع ما عداه اليه تعالى فيوجب له تعالى
القدرة والارادة والعلم والحيوة اذ لو لم يجب له تعالى هذه الصفات لكان عاجزا
عن ايجاد شيء من الممكنات وكذا يوجب له تعالى الواحدانية اذ لو لم يجب له تعالى
الوحدانية بل كان معه غيره في الالوهية لم يفتقر اليه شيء من الممكنات للزوم
عجزهما ويوخذ من افتقار جميع ما عداه اليه تعالى حدوث العالم باسره اذ لو كان
شيء منه قديما لكان مستغنيا عنه تعالى غير مفتقر اليه ويوخذ منه ايضا ان لا يوثر شيء
من المخلوقات في اثر ما اذ لو كان في شيء من مخلوقات تاثير في اثر لكان
ذلك الاثر مستغنيا عنه تعالى غير مفتقر اليه فعلى هذا كل من يقول لا اله الا الله
يصير كانه يقول لا واجب الوجود الا الله ولا واجب القدم والبقاء الا الله ولا قادر
على ايجاد الممكنات كلها الا الله ولا عالم بما لا يتناهى من المعلومات الا الله ولا منزه
عن جميع النقائص ولا عن الاغراض في افعاله واحكامه ولا موثر في شيء
من المخلوقات الا الله وعلى هذا القياس كل ما وجب في حقه تعالى واستحال عليه وجاز
له فقد ظهر من هذا ان فهم معنى كلمة التوحيد متوقف على معرفة الله تعالى ومعرفة الله تعالى
ليست ضرورية حتى تحصل بالبداهة كمعرفة كون الواحد نصف الاثنين بل انما
تحصل بالاستدلال الذي هو النظر بالدليل فيكون النظر واجبا لانه تعالى امر به وقال
انظروا ماذا في السموات والارض فمن تركه يكون آثما لانه اعطى الانسان نعمة العقل
فيستدل به على وجوده وقدمه ووحدته وسائر صفاته التي تدل عليها افعاله من
القدرة والارادة والعلم والحيوة فاذا لم يستدل به لا يكون مؤديا لشكر نعمة

الا الله ثم

الفعل فيكون آثما فيبقى في مشية الله تعالى ان شاء يعفو عنه ويدخله الجنة بلا عذاب وان شاء
يعذبه بقدر ذنبه ثم يدخله الجنة فعلى هذا يجب على كل مومن ان يعتني اي يهتم بمعرفة
الله تعالى حتى يتيسر فهم معنى كلمة التوحيد التي هي ثمن الجنة وسبب الخلاص من العذاب
المويد وقد نص العلماء على لزوم فهم معناها والا لا ينتفع بها متلفظها في الانقاذ
من الخلود في النار اذ ليست فضيلتها بازاء تحريك اللسان بها من غير حصول
معناها في القلب بل فضيلتها بازاء حصول معناها في القلب بسبب معرفة الله تعالى
وليس المراد من معرفة الله تعالى معرفة ذاته لان ذاته تعالى ليست معلومة للبشر بل المراد بها
معرفة ما يجب في حقه تعالى وما يستحيل عليه وما يجوز له ليعلم من ينطق بها ما نفي عن غيره تعالى
وما اثبت له فانها مركبة من نفي واثبات فالمنفي كل فرد من افراد حقيقة الاله سوى الله تعالى
والمثبت فرد واحد من تلك الحقيقة وهو الله تعالى ومعنى الاله هو الواجب الوجود المستحق
للعبادة وهذا المعنى كلي يقبل بحسب مجرد ادراكه ان يصدق على كثيرين لكن الدليل
القطعي يدل على استحالة التعدد فيه وكونه خاصا بذات الله تعالى وذلك الدليل وجود
العالم فانه لكونه حادثا محتاجا الى محدث يدل على ان له موجدا قديما واحدا متصفا
بالقدرة والارادة والحيوة والعلم لانه لو لم يكن قديما بل كان حادثا لكان محتاجا
الى محدث فيلزم الدور او التسلسل وكلاهما محال ولو لم يكن واحدا بل كان اكثر
من واحد لوقع بينهما التمانع المقتضي لعدم وجود العالم ولو لم يكن متصفا بالقدرة
والارادة والعلم والحيوة لكان عاجزا عن ايجاد شيء من العالم لان الايجاد اثر القدرة
وتاثير القدرة في شيء من الاشياء يتوقف على ارادة ذلك الشيء وارادة ذلك الشيء

يتوقف

يتوقف علم العلم به لان القصد الى ايجاد شيء مع عدم العلم به محال والاتصاف بهذه الصفات
الثلثة يتوقف على الحيوة لكونها شرطا فيها فعلى هذا يكون وجود العالم بل وجود
كل جزء من اجزائه دليلا قطعيا على وجوده تعالى وكونه قديما واحدا متصفا بهذه
الصفات الاربع المذكورة وعلى استحالة اضدادها ولهذا كان بعض اهل التوحيد يقولون
استدللنا بالاثر على المؤثر ما رأينا الله بعده فان كل جزء من اجزاء العالم لكونه حادثا
محتاجا الى من يوجده ومنها انه لا يزال يتكلم بكلام لا حرف فيه ولا صوت ان لها
موجدا قديما واحدا متصفا بالقدرة والارادة والعلم والحيوة يسمع كلامه السامعون
ولا يسمع الذين هم عن السمع لمعزولون والمراد من السمع السمع الباطن الذي
يسمع به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا عربي ولا عجمي لا السمع الظاهر الذي لا يسمع
غير الاصوات وتشارك فيه البهائم الانسان اذ لا قدر لشيء تتشارك فيه البهائم الانسان
والحاصل ان المكلف لا يعرف من صفاته تعالى بالعقل الا ما يتوقف عليه افعاله
فاما ما لم يتوقف عليه افعاله تعالى كالسمع والبصر فقد يستدل على ثبوتها له تعالى تارة بالعقل
وتارة بالنقل اما الاستدلال بالعقل فهو انها صفات كمال واضدادها صفات نقصان والاتصاف
بصفات الكمال وعدم الاتصاف بصفات النقصان واجب فوجب اتصافه بتلك
الصفات واما الاستدلال بالنقل فهو ان الشرع قد صرح بثبوتها له تعالى فوجب الجزم
بثبوتها له تعالى ودليل النقل في هذه المسئلة اقوى من دليل العقل لان تلك الصفات
لا يتوقف عليها افعاله تعالى حتى يستدل بها على ثبوتها له تعالى وذاته تعالى لم يكن
معلوما لاحد حتى يعلم انها في حقه تعالى كمال يجب اتصافه بها بحيث لو لم يتصف بها لزم
ان يتصف باضدادها وما ذكر من كونها كمالا انما هو بالنسبة الينا ولا يلزم من كونها

الشيء بالنسبة الينا كمالا ان يكون في حقه تعالى كمالا الا ترى ان اللذة والالم مع كونهما من عوارض

الاجسام فعلى هذا ~~الى اصل دليله النقل من دليل العقل~~ يلزم في اثبات تلك الصفات

له تعالى التمسك بالنقل عن الانبياء والذين ثبت صدق كل واحد منهم وكلمته وثبوته

بالمعجزة الفائقة مقام قوله تعالى صدق رسولي في كل ما يبلغ عني سواء كان تبليغه بقوله

او فعله او سكوته لان المعجزة تصديق فعلي من الله تعالى لرسوله لكونها فعلا من افعاله تعالى

خارقا للعادة قائم مقام صريح القول في تصديق رسوله في دعواه الرسالة فانه تعالى

لما خلق امرا خارقا للعادة على يده عند ادعائه الرسالة صار كانه قال صدق رسولي

في كل ما يبلغ عني سواء كان تبليغه بقوله او فعله او سكوته قال العلماء مثال ذلك ان رجلا

اذا قام في مجلس ملك بحضور جماعة وقال انا رسول هذا الملك بعثني اليكم بكذا وكذا

من التكاليف وطلبوا منه حجة تدل على صدقه وقال اية صدقي ان اطلب

من الملك ان يخالف عادته ويقوم من مقامه ويقعد ثلث مرات وفعل الملك

ذلك بطلبه فلا شك ان ذلك الفعل من الملك قائم مقام قوله صدق هذا

الرجل في كل ما يبلغ عني ويفيد العلم الضروري بصدقه لمن شاهد ذلك الفعل من الملك

ولمن لم يشاهده بل وصل اليه خبره بالتواتر ولا ريب ان هذا المثال يطابق

لحال الرسل عليهم الصلوة والسلام في افادة معجزاتهم العلم الضروري بصدقهم لمن شاهدها

ولمن لم يشاهدها بل وصل اليه خبرها بالتواتر فاذا ثبت صدقهم بدلالة المعجزة وجب

تصديقهم في كل ما جاءوا به من عند الله تعالى وافضلهم نبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم

فانه تعالى قد بعثه الى اهل الارض كافة ليبلغهم امره ونهيه ووعده ووعيده وايده بمعجزات

كثيرة لا تحصى لما ليصدقوه فوجب عليهم تصديقه في كل ما اخبر وطاعته في كل ما امر والانقياد

بالنسبة الينا كمالا ممتنعان على الله تعالى لكونهما

لكل

عن كل ما زجر ومن لم يصدقه فيما اخبر ولم يطعه فيما امر ولم ينته عما زجر يكون من الذين
قال الله تعالى فيهم في القران العظيم الذي هو افضل معجزاته اولئك كالانعام بل هم اضل يعني انه
شبههم بالبهائم في كون مشاعرهم متوجهة الى اسباب الدنيا ومقصورة عليها وعدم
التفكر فيما يقرع اذانهم من الايات القرانية والاحاديث النبوية وعدم الالتفات
بها بل جعلهم اضل لانها تدرك ما من شانها ان تدركه من المنافع والمضار و
تجهد غاية جهدها في جلب ما ينفعها وسلب ما يضرها وتنقاد لصاحبها وتميز
من يحسن اليها ممن يسيء اليها وهولاء ليسوا كذلك حيث لا يميزون بين
المنافع والمضار ويجتهدون غاية جهدهم في جلب ما يضرهم وسلب ما ينفعهم
ولا ينقادون لربهم وخالقهم ورازقهم ولا يعرفون احسانه اليهم ويقدمون
على العذاب الاليم ولا يقدمون على النعيم المقيم ويكونون من الذين قال تعالى
فيهم يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون يعني انهم يعلمون
ظاهرا حقيرا خسيسا من الدنيا ومحوماتها يدرونه من زخارفها وملاذها وسائر احوالها
الموافقة لشهواتهم اللائقة لاهوائهم وهم غافلون عن الاخرة التي هي المطلب الاعلى
والمقصد الاقصى ولا يخطرون ببالهم ولا يتفكرون من احوال الدنيا ما يودي الى
معرفتها فان العلم بامور الاخرة موقوف على العلم بوجود البارى تعالى وقدرته وارادته
وعلمه وحيوته وذلك العلم لا يحصل الا بالنظر الى المصنوعات والتفكر فيها والاستدلال
بتغيرها على حدوثها واحتياجها الى موجد قديم واحد متصف بالقدرة والارادة
والعلم والحيوة وهم قصروا النظر على الظواهر الحسية كالبهائم ولم يتفكروا في عجائب صنعه
ليستدلوا بها على وجوده وقدمه وقدرته وعلمه وحيوته فيعلموا ان ما اخبر به من امور الاخرة

امور ممكنة يلزم وقوعها وعند وقوعها يكون المكلف فيها بحكم صلاح الاعمال
وفساده فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير نسأل الله تعالى ان يجعلنا من اهل الجنة
مع الابرار لا من اهل النار مع الاشرار

المجلس الحادي عشر

في بيان اسعد
الناس من شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسعد الناس بشفاعتي يوم القيمة من قال لا اله الا الله خالصا من قلبه هذا
الحديث من صحاح المصابيح رواه ابو هريرة وقريب منه ما روي عن زيد بن
ارقم انه عليه الصلوة والسلام قال من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة فانه
عليه الصلوة والسلام قد شرط النيل وعدّ في هذين الحديثين ان يكون فيمن قال
لا اله الا الله الخلوص والاخلاص ومعنى الخلوص والاخلاص مساعدة الحال
للمقال فمن قال لا اله الا الله ولم يساعد حاله لمقاله لا يكون فيه شيء من الخلوص
والاخلاص اذا منعه هذا القول عن الذنوب وحمله على الطاعات وان لم يمنعه

وانما يكون فيه من الخلوص والاخلاص صح

من الذنوب ولم يحمله على الطاعات لا يكون فيه الخلوص والاخلاص ويخاف ان يكون
هذا القول فيه عارية يسترد منه لان من لم يكن فيه الا اصل الايمان وهو مقتصر
في الاعمال ومصر على الذنوب قريب من ان ينقلع شجرة ايمانه اذا صادفتها
الرياح العاصفة التي هي الوساوس الشيطانية المحركة بها لان كل ايمان لم يثبت
في القلب اصله ولم ينتشر في الاعضاء فروعه ولم يظهر فيها ثمرة لا يثبت عند ظهور
ملك الموت ويخاف عليه الزوال والطرد وانما يثبت في القلب اصل الايمان وانما ينتشر
فروعه في الاعضاء وانما ثمرة اذا سقي بمياه الطاعات على توالي الايام والساعات

تظهر صح

حتى يرسخ ويثبت وينتشر فروعه ويظهر ثمرة فهذا امر لا يظهر الا عند الخاتمة واصل
ذلك

ذلك على ما ثبت في العلوم العقلية ان تكرار الافعال سبب لحصول الملكة الراسخة
في النفس فمن اصر على الذنوب يحصل في القلب الفها وجميع ما الفه الانسان في
عمره يعود ذكره عند موته فان كان ميله الى الطاعات اكثر يكون اكثر ما يحضره
عند الموت ذكر الطاعات وان كان ميله الى المعاصي اكثر يكون اكثر ما يحضره عند الموت
ذكر المعاصي فربما يقبض روحه عند غلبة شهوة من الشهوات او معصية من المعاصي
فيتقيد قلبه بها وتصير سببا لسوء خاتمته فاما الذي غلبت ذنوبه وكانت
اكثر من طاعاته ولم يتب عنها بل كان مصرا عليها وقلبه فرحا بها فهذا الخطر
في حقه عظيم اذ قد يكون غلبة الالف سببا لان تتمثل صورة معصية في قلبه
ويميل اليها نفسه ويقبض عليها روحه فذلك يوجب سوء الخاتمة واما الذي لم يرتكب
ذنبا اصلا او ارتكب لكن تاب فهو بعيد عن هذا الخطر فعلى هذا يجب على كل مسلم بعد
ما قال لا اله الا الله اداء ما وجب عليه من الطاعات وحفظ لسانه وساير اعضائه من
السيئات لان كثيرا من الناس يقولون هذا القول ثم ينزع عنهم في اخر اعمارهم بسبب اعمالهم
الخبيثة ويخرجون من الدنيا بغير ايمان واي مصيبة اعظم من هذا ان يكون الرجل
في جميع عمره في الدنيا من المؤمنين ثم يموت ويكون اسمه في الاخرة من الكافرين
ليس الحسرة على الذي يخرج من الكنيسة ويدخل في جهنم وانما الحسرة على الذي يخرج من المسجد
ويطرح في جهنم بسبب اعماله الخبيثة فان الناس في الايمان على ضربين منهم من يكون له
الايمان عارية يسترد منه ومنهم من يكون له الايمان عطاء لا يسترد منه والعلامة في
ذلك ان الذي يمنعه الايمان من الذنوب ويحمله على الطاعات فالايمان له عطاء لا يسترد
منه والذي لا يمنعه الايمان من الذنوب ولا يحمله على الطاعات فالايمان له عارية يسترد منه

لان ايمانه لوكان صحيحا خالصا لمنعه من الذنوب ولحمله على الطاعات فلما لم يمنعه

من الذنوب ولم يحمله على الطاعات علم ان قلبه الذي هو محل الايمان مريض فان القلب

قد يمرض ويشتد مرضه لكن لا يعرفه صاحبه لغلبة الهوى عليه بل قد يموت قلبه

وهو لا يشعر بموته وعلامته ذلك ان لا تولمه جراحات الذنوب فان القلب

اذا كان فيه حيوة يتالم بقدر حياته من جراحات الذنوب وقد يشعر بمرضه

لكن لا يتحمل مرارة الدواء ولا يصبر عليها فيوثر بقاء الالم على مشقة الدواء فان

دواءه في مخالفة هواه وذلك اصعب شيء على النفس وليس لها شيء انفع

من ذلك قال سهل بن عبد الله هواك داؤك فان خالفته فقد تملك

دواؤك وقال الفقهاء ترك الهوى مفتاح الجنة لقوله تعالى واما من خاف مقام ربه

ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى فالسعيد من يخالف هواه ويطيع

مولاه والشقي من يتبع هواه ويخالف مولاه فان اتباع الهوى سم قاتل

من سموم الدين يفضي الى الهلاك الابدي يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله

بقلب سليم فالخائف من الهلاك في هذه الدنيا الفانية اذا كان يجب عليه

في كل حال الاحتراز عن السموم وما يفرده من المهلكات والخائف من الهلاك الابدي اولى

ان يجب عليه في كل حال الاحتراز عن المعاصي التي هي سموم الدين فان المخوف من هذه

السموم فوات الاخرة الباقية التي ليس اضعاف اعمار الدنيا عشر عشرها الذي ليس لها

آخر ولا غاية وفيها النعيم المقيم والملك العظيم وفي فواتها نار الجحيم والعذاب الاليم

فالبدار الى التوبة والاستغفار قبل ان يعمل سموم الذنوب في روح الايمان ولا ينفع

بعد ذلك الاحتماء ولا علاج الاطباء ولا نصح الناصحين ولا وعظ الواعظين ويحق عليه القول

الشدائد

من الكافرين ويدخل تحت عموم قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم اغلالا فهي الى الاذقان
فهم مقمحون ولا يغرنك نقط الايمان وتقول المراد به الكافرون اذ جاء في الحديث
ان الزاني لا يزني وهو مؤمن فانه عليه الصلوة والسلام ما اراد به نفي الايمان الذي
هو العلم بالله وملائكته وكتبه ورسله فان هذا الايمان لا ينافيه الزنا وساير الذنوب مبعدا
عن الله تعالى وموجبا للمقت فالمحجوب عن هذا الايمان الذي هو فرع يحجب في الخاتمة عن الذي
هو اصل حتى قال بعض العلماء قول العاصي المطيع انا مؤمن كما انك مؤمن شبيه
قول شجرة القرع لشجرة الصنوبر انا شجرة كما انت شجرة وما احسن ما قالت شجرة
الصنوبر لها في الجواب انك ستعرفين حالك اذا عصفت رياح الخريف
وانقلعت اصولك وانتثرت اوراقك فعند ذلك ينكشف غرورك
بمجرد مشاركتك اياي في اسم الشجر مع الغفلة عن اسباب ثبات الاشجار وكذا
العاصي سيعرف حاله اذا عصفت رياح الاجل وظهرت سكرات الموت فعند
ذلك ينكشف غروره بمجرد مشاركته للمطيع في اسم المؤمن مع الغفلة عن اسباب
ثبات الايمان وهذا امر يظهر عند الخاتمة حتى قال بعض العارفين اذا ظهر ملك الموت
للعبد علم في ذلك الحين انه لم يبق من عمره شيء قط ويحصل له من الحسرة والندامة لو كانت
له الدنيا بحذافيرها لكان يبذلها ليضم الى عمره ساعة حتى يتدارك تفريطه ولا يجد الى
ذلك سبيلا فيتجرع غصة اليأس عن التدارك وحسرة الندامة على تضييع العمر فيما
يضره ولا ينفعه فيحصل رده وتغيره فيغلق عنه باب التوبة فيبقى في الحسرة والندامة
ولذلك قيل ليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر احدهم الموت
قال اني تبت الآن وانما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون

بل اراد نفي الايمان الذي
هو العلم بكون الزنا وساير
الذنوب صح

من قريب والمراد بالقرب العهد بالمعصية بان يندم عليها ويمحو اثرها بحسنة يردفها
بها قبل ان يتراكم ظلمتها على القلب فلا يقبل المحو ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم
اتبع السيئة الحسنة تمحها وقال لقمان لابنه يا بني لا تؤخر التوبة فان الموت تاتي بغتة
فمن ترك المبادرة الى التوبة بالتسويف قد يعاجله الموت فلا يجد مهلة للاشتغال
بالمحو ولذلك ورد في الخبر عن ابن عباس انه عليه الصلوة والسلام قال هلك
المسوفون والمسوف من يقول سوف اتوب وهو لا يدري ان الامر على البقاء الذي
لم يفوض اليه وعليه لا يبقى وان بقي فانه كما لا يقدر على ترك الذنب اليوم لا يقدر
على تركه غدا لان عجزه عن الترك في الحال ليس الا لغلبة الشهوة عليه وان الشهوة
لا تفارقه بل تتضاعف وتتاكد بالاعتياد فليست الشهوة التي اكدها الانسان بالاعتياد
كالشهوة التي لم يؤكدها وعن هذا قيل هلك المسوفون فانهم يظنون ان بين المتماثلين
فرقا ولا يدرون ان الايام متشابهة في كون ترك الشهوة شاقا فيها ابدا ففعل
العاقل ان يبادر بالتوبة اذا صدر منه شيء من المنهيات لان من عصى الله تعالى
في شيء منها ولم يتب عنه على الفور يكون من الظالمين لقوله تعالى ومن لم يتب فاولئك
هم الظالمون والتوبة عبارة عن معنى يحصل من امور ثلثة علم وحال وقصد
اما العلم فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونه حجابا بينه وبين محبوبه واما الحال فهو الندم
ومعنى الندم تالم القلب وتحزنه عند شعوره بفوات محبوبه واما القصد فهو ارادة
التدارك وله تعلق بالحال والاستقبال والماضي واما تعلقه بالحال فهو ترك كل محظور
هو ملابس به واداء كل فرض هو متوجه عليه واما تعلقه بالاستقبال فهو دوام فعل
الطاعات وترك المنهيات الى اخر العمر والمتروك منها والى الكفارة ما فعل منها فان

واما تعلقه بالماضي فهو تدارك
ما فرط فيه وطريق التدارك ان
ينظر الى الطاعات ما ترك منها ثم

كان

كان ترك شيئا من الطاعات يتداركه بالقضاء فاذا قضى ما عليه من الفرائض والواجبات
ينظر في معاصيه فان كان منها بينه وبين الله تعالى يكفي فيه الندم بالقلب والاستغفار
باللسان والعزم على ان لا يعود اليه ابدا واما حقوق الخلق فما علم صاحبه يرده اليه ان كان
من الحقوق المالية وان كان من الحقوق الغير المالية يستحل منه ان لم يجعله في محل حل
يبقى عليه مظلمة فعليه ان يحسن اليه ويسعى في مهماته حتى يستميل به قلبه اليه ويجعله في
حل فان الانسان عبيد الاحسان وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه انه عليه الصلوة
والسلام قال جبلت القلوب على حب من احسن اليها وعلى بغض من اساء اليها
فكل من نفر قلبه بسيئة يطيب قلبه بحسنة فاذا طاب قلبه بكثرة الاحسان اليه والسعي
في مهماته يؤمل ان يجعله في حل وان ابى الا الاصرار يكون احسانه اليه وسعيه في مهماته من جملة
حسناته التي يمكن ان يجبر بها جنايته يوم القيمة فينبغي ان يكون قدر سعيه في فرحه وسرور
قلبه بالاحسان اليه والسعي في مهماته كقدر سعيه في ايذائه حتى اذا قاوم احدهما الآخر او زاد
عليه بما قدر ذلك منه عوضا يوم القيمة وان غاب صاحب الحق او مات وعجز الظالم
عن الاستحلال منه في الحقوق الغير المالية او كان فقيرا غير قادر على التصدق بمقدار ما عليه
من الحقوق المالية يجب عليه ان يكثر ما قدر عليه من الاعمال الصالحات ويستغفر لمن ظلمه
من المؤمنين والمؤمنات في اكثر الاوقات فاذا فعل كذلك يرجى من فضل الله تعالى
وكرمه ان يرضي خصمه يوم القيمة لما روي عن ابي هريرة انه قال بينما رسول الله صلعم
جالس اذ ضحك حتى بدت ثناياه فقيل له مما تضحك يا رسول الله قال رجلان من
امتي جثيا بين يدي رب العزة فقال احدهما يا رب خذ لي مظلمتي من هذا فقال الله تعالى
اعط اخاك مظلمته فقال يا رب لم يبق من حسناتي شيء فقال الله تعالى ما تصنع باخيك

لم يبق من حسناته شيء فقال يا رب فليحمل عني من اوزاري ففاضت عينا رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قال ان ذلك اليوم ليوم يحتاج الناس فيه الى ان يحمل عنهم اوزارهم
ثم قال فيقول الله تعالى للطالب حقه ارفع بصرك فانظر الى الجنان فيرفع بصره فيرى
من الخير والنعمة ما يعجبه فيقول لمن هذا يا رب فيقول لمن يعطي ثمنه فيقول ومن
يملك ثمنه فيقول انت فيقول بماذا يا رب فيقول بعفوك عن اخيك
فيقول قد عفوت عنه يا رب فيقول الله تعالى خذ بيد اخيك فادخله الجنة هذا اذا لم
يكن صاحب الحق كافرا واما اذا كان كافرا يكون الامر مشكلا جدا لانه لعدم
استحقاقه لدخول الجنة لا يوجد طريق الى ارضائه ولا الى اعطاء ثواب المؤمن
اليه ولا لتحميل اثم الكفر على المؤمن ولا يرجى منه العفو فيكون خصومته اشد وكذا
اذا كان الحق للبهائم بان ضربها بغير ذنب او ضرب وجهها بذنب او حملها فوق
طاقتها او لم يتعاهد علفها وماءها يكون خصومتها يوم القيمة اشد اذ لا ذنب لها
فيحمل عليها من ذنبها وليست اهلا لاخذ الحسنات فيتعين العقاب

المجلس الثالث عشر

في بيان اخلاص التوحيد سبب لحرمة النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد
يشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله صدقا من قلبه الا حرمه الله على النار هذا
الحديث من صحاح المصابيح رواه معاذ بن جبل وظاهره يقتضي ان لا يدخل النار
كل من ياتي بكلمة الشهادة وان لم يمتثل بالاوامر ولم ينته عن النواهي وليس كذلك
لان معناه ان كل من يشهد بوحدانية الله تعالى وبرسالة رسوله ويجري على موجب
شهادته بامتثال الاوامر واجتناب النواهي حرمه الله تعالى على النار يشير الى هذا المعنى
قوله عليه الصلوة والسلام صدقا من قلبه لان الشهادة اذا كانت عن صميم القلب [illegible]

العبد

العبد الى طلب رضا مولاه بامتثال الاوامر واجتناب النواهي ولو لم يمتثل بالاوامر ولم
ينته عن النواهي يكون شهادته بمجرد اللسان لا عن قلب واعتقاد لان اللسان ترجمان القلب
والاعضاء شهود على ما يدعيه اللسان بالمعنى فمن ادعى ثبات الايمان اذا استعمل اركانه
على ما يقتضيه الايمان يكون صادقا في دعواه ويثبت ما ادعاه واذا لم يستعمل اركانه
على ما يقتضي الايمان لا يكون صادقا في دعواه ولا يثبت ما ادعاه وظهر من هذا
ان ما يجري على اللسان فقط لا يكون عن قلب واعتقاد وان كان صدقا في الواقع
كقول المنافقين لرسول الله صلى الله عليه وسلم نشهد انك لرسول الله فان قولهم
هذا كان صدقا في الواقع بدليل قوله تعالى والله يعلم انك لرسوله لكن لما لم يكن عن قلب
واعتقاد كذبهم الله تعالى بقوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون وسبب ذلك
ان الشهادة على ما ذكر في الصحاح خبر قاطع ولهذا اشترط في الشهادة ان يشهد بشيء
ثابت عنده بيقين كما قال النبي عليه الصلوة والسلام اذا علمت مثل الشمس
فاشهد فمن شهد بشيء غير ثابت عنده بيقين يكون كاذبا وان كان صدقا
في الواقع ولذلك اعتبر في الحديث كونه صدقا ناشئا عن مركزه ومنبعه الذي
هو القلب يظهر اثره في الاعضاء فعلى هذا كل من نطق بكلمتي الشهادة
يدعي حصول علم اليقين عنده بمعناهما واذا لم يكن عنده العلم بمعناهما لا يكون
صادقا في دعواه ولا تحقق ما ادعاه فكيف يكون مؤمنا فان النطق بهما
من غير فهم معناهما لا يكتفي في حصول حقيقة الايمان بل لا بد في حصول حقيقة الايمان
بل لا بد في حصول حقيقة الايمان ان يكون النطق بهما مع فهم معناهما لان جميع
جميع ما يجب على المكلف معرفته من عقايد الايمان في حقه تعالى وحق رسله

مندرج فيها لان الكلمة الاولى منهما مركبة من نفي واثبات والاول نفي اعني غيره تعالى
واثبت له تعالى على طريق الحصر انما هو الالوهية تشتمل على معنيين احدهما استغناؤه تعالى
عن جميع ما سواه والثاني افتقار جميع ما عداه اليه تعالى فعلى هذا يكون معنى قولنا لا اله
الا الله لا مستغني عن جميع ما سواه ولا مفتقر اليه جميع ما عداه الا الله تعالى اما استغناؤه
عن جميع ما سواه فيوجب له تعالى الوجود والقدم والبقاء اذ لو لم يجب له تعالى هذه الصفات
لكان محتاجا الى المحدث لان انتفاء شيء من هذه الصفات يستلزم الحدوث
وكل حادث يحتاج الى المحدث وكذا يوجب له تعالى التنزه عن النقائص ومن جملة
التنزه عن النقائص وجوب السمع والبصر والكلام اذ لو لم يجب له تعالى هذه الصفات
لكان متصفا بالنقائص ومحتاجا الى من يدفع عنه تلك النقائص وكذا يوجب له تعالى
التنزه عن الاغراض في افعاله واحكامه اذ لو لم يجب له تعالى التنزه عن الاغراض
لكان محتاجا الى من يحصل به غرضه وكذا يوجب له تعالى ان لا يجب عليه فعل شيء
من الممكنات ولا تركه اذ لو وجب عليه شيء منها لكان محتاجا الى ذلك الشيء
ليتكمل به اذ لا يجب له تعالى الا ما هو كمال واما افتقار جميع ما عداه اليه تعالى فيوجب له تعالى
القدرة والارادة والعلم والحيوة اذ لو لم يجب له تعالى هذه الصفات لكان عاجزا
عن ايجاد شيء من الكائنات وكذا يوجب له تعالى الوحدانية اذ لو لم يجب له تعالى
الوحدانية بل كان معه ثاني في الالوهية لم يفتقر اليه شيء من الكائنات للزوم
عجزهما ويؤخذ من افتقار جميع ما عداه اليه تعالى حدوث العالم باسره اذ لو كان شيء
منه قديما لكان مستغنيا عنه تعالى غير محتاج اليه تعالى ويؤخذ منه ايضا ان لا تأثير
لشيء من المخلوقات في اثر ما اذ لو كان لشيء من المخلوقات تاثير في اثر ما لكان

ذلك

وذلك الاثر ممتنعا عنه تعالى غير مفتقر اليه تعالى فعلى هذا كل من يقول لا اله الا الله يعبر كانه يقول
لا واجب الوجود الا الله ولا واجب القدم والبقاء الا الله ولا قادر على ايجاد الممكنات
كلها الا الله ولا عالم بما لا يتناهى من المعلومات الا الله ولا منزه عن جميع النقائص
ولا عن الاغراض في افعاله واحكامه الا الله ولا موثر في ايجاد شيء من المخلوقات الا الله
وعلى هذا القياس كل ما وجب في حقه تعالى واستحال عليه وجاز له فقد ظهر من هذا
ان فهم معنى كلمة التوحيد يتوقف على معرفة الله تعالى وليس المراد من معرفة الله تعالى
معرفة ذاته لان ذاته تعالى ليست معلومة للبشر بل المراد بها معرفة ما يجب في حقه تعالى وما
يستحيل عليه وما يجوز له فيعلم الموحد عند التكلم بها ما ينفي من غيره تعالى وما يثبت له تعالى
فالمنفي فيها كل فرد من افراد حقيقة الاله سوى الله تعالى والمثبت فرد واحد
من تلك الحقيقة وهو الله تعالى ومعنى الاله هو الواجب الوجود المستحق للعبادة
وهذا المعنى كلي يقبل بحسب مجرد ادراكه ان يصدق على كثيرين لكن الدليل العقلي
القطعي يدل على استحالة التعدد فيه وعلى كونه خاصا بذات الله تعالى وذلك دليل وجود
العالم فانه لكونه حادثا محتاجا الى محدث يدل ان له محدثا وذلك المحدث
لا بد ان يكون قديما واحدا متصفا بالقدرة والارادة والحيوة والعلم لانه لو لم يكن
قديما بل كان حادثا لكان محتاجا الى محدث فيلزم الدور والتسلسل وكلاهما محال ولو لم يكن واحدا
بل كان اكثر من واحد لوقع بينهما التمانع المقتضي لعدم وجود العالم ولو لم يكن
متصفا بالقدرة والارادة والعلم والحيوة لكان عاجزا من ايجاد شيء من العالم
لان الايجاد اثر القدرة وتاثير القدرة في شيء من الاشياء يتوقف على ارادة ذلك
وارادة ذلك الشيء يتوقف على العلم به لان القصد الى ايجاد شيء مع عدم العلم به
محال والاتصاف بهذه الصفات الثلث يتوقف على الحيوة بكونها شرطا

فعلى هذا يكون وجود العالم بل وجود كل ذرة من ذراته دليلا قطعيا على وجوده تعالى
وقدمه وكونه واحدا متصفا بهذه الصفات الاربع المذكورة وعلى استحالة انفراده ولهذا
كان بعض اهل التوحيد يقولون استدلالا بالاثر على المؤثر ما رايت شيئا الا رايت
الله بعده فان كل ذرة من ذرات العالم من حيث حدوثها او اختصاصها
من يوجدها لا تزال تتكلم بكلام لا حرف فيه ولا صوت ان لها موجدا قديما واحدا متصفا
بالقدرة والارادة والعلم والحيوة يسمع كلامها السامعون ولا يسمعه الذين هم عن السمع
لمعزولون والمراد من السمع السمع الباطن الذي يسمع به كلام ليس بحرف ولا صوت
ولا عربي وعجمي لا السمع الظاهر الذي لا يسمع به غيره الاصوات وتشارك فيه البهائم الانسان
اذ لا قدر يعتنى يشارك فيه البهائم الانسان والحاصل ان الانسان لا يعرف من صفاته تعالى
بالعقل الا ما دل عليه افعاله تعالى فما لم يدل عليه افعاله تعالى كالسمع والبصر والكلام
فقد يستدل على ثبوتها له تعالى تارة بالعقل وتارة بالنقل اما وجه الاستدلال
على ثبوتها له تعالى بالنقل فهو ان الشرع قد صرح بثبوتها له تعالى ودليل النقل في هذه
المسئلة اقوى من دليل العقل لان تلك الصفات لا يتوقف عليها افعاله تعالى
حتى يستدل بها على ثبوتها له تعالى وذاته تعالى لم يكن معلوما لاحد حتى يعلم انها في حقه تعالى
كمال يجب اتصافه بها بحيث لو لم يتصف بها يلزم ان يتصف باضدادها بل
كونها كمالا انما هو بالنسبة الينا ولا يلزم من كون الشيء بالنسبة الينا كمالا ان يكون
في حقه تعالى كمالا الا يرى ان اللذة والالم مع كونهما بالنسبة الينا كمالا ممتنعات في حقه تعالى
لكونهما من عوارض الاجسام فقد ظهر من هذا ان الكلمة الاولى من كلمتي الشهادة
تضمنت الاقسام الثلثة التي يجب على المكلف معرفتها في حقه تعالى اي ما يجب في حقه تعالى

وما يستحيل عليه

وما يستحيل عليه وما يجوز له والمراد بما يجب في حقه تعالى وصفاته الثبوتية وبما يستحيل عليه
صفاته السلبية وبما يجوز له صفاته الفعلية واما الكلمة الثانية فقد حكم فيها بكون محمد
صلى الله عليه وسلم رسولا من عند الله ولابد في معرفة ذلك من دليل وذلك
الدليل ظهور المعجزة على يده عند ادعائه الرسالة فان المعجزة تصديق فعلي من الله تعالى
لرسوله لانها فعل من افعاله تعالى خارق للعادة قائم مقام صريح القول في تصديق رسوله
في دعواه الرسالة فانه تعالى لما خلق امرا خارقا للعادة على يد رسوله حين ادعائه
الرسالة صار كانه قال صدق رسولي في كل ما يبلغ عني سواء كان تبليغه بقوله
او فعله او سكوته قال العلماء مثال ذلك ان رجلا اذا قام في محفل ملك بحضور جماعة
وقال انا رسول هذا الملك بعثني اليكم بكذا وكذا من التكاليف فطلبوا منه حجة
تدل على صدقه فقال آية صدقي اني اطلب من الملك ان يخالف عادته ويقوم
من مقامه ويقعد ثلث مرات ففعل الملك ذلك لطلبه فان ذلك
الفعل من الملك قائم مقام قوله صدق هذا الرجل في كل ما يبلغ عني ويفيد العلم
الضروري بصدقه لمن شاهد ذلك الفعل من الملك ولمن لم يشاهده بل وصل
اليه خبره بالتواتر ولا شك ان هذا المثل مطابق لحال الرسول عليه الصلوة والسلام
في افادة معجزته العلم الضروري بصدقه لمن شاهدها ولمن لم يشاهدها بل وصل اليه خبرها
بالتواتر ثم ان المعجزة لما كانت تصديقا فعليا من الله لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم
لزم ان يكون تصديقا فعليا منه تعالى لغيره من الانبياء لانهم في معناه فيجب في حق
جميعهم الصدق والامانة وتبليغ ما امروا بتبليغه للخلق ويستحيل في حقهم اضداد هذه
الصفات وهي الكذب والخيانة وكتمان شيء مما امروا بتبليغه للخلق ويجوز

في حقهم من الاعراض البشرية ما لا يؤدي الى نقص في مراتبهم كالمرض ونحوه اما وجوب
الصدق لهم واستحالة الكذب عليهم فلانه تعالى قد صدقهم بالمعجزة القائمة مقام
صريح القول فلو لم يجب لهم الصدق بل جاز عليهم الكذب لجاز على الله تعالى لان
تصديق الكاذب كذب والكذب على الله تعالى محال واما وجوب الامانة لهم واستحالة
الخيانة فلانهم لو خانوا بفعل شيء مما هو محرم او مكروه لا بقي ذلك الفعل طاعة
لانه تعالى امر الخلق بالاقتداء بهم في افعالهم واقوالهم وسكوتهم والله تعالى لا يأمر بما هو محرم
او مكروه فلو علم منهم خيانة لما امر الخلق بالاقتداء بهم فثبت بذلك انه تعالى عصمهم
عن فعل شيء مما هو محرم او مكروه فلا يقع منهم الا ما هو واجب او مندوب او مباح
هذا بالنظر الى نفس الفعل واما بالنظر اليهم فالحق ان افعالهم دائرة بين الوجوب
والندب لا غير لان المباح لا يقع منهم كما يقع من غيرهم بمقتضى الشهوة بل انما يقع
منهم بنية صالحة يصير بها طاعة واقل ذلك قصد التعليم لغيرهم اذا ثبت هذا
يجب على كل مؤمن ان يكون على حذر عظيم ووجل شديد على ايمانه ان يسلب منه بان
يصغي باذنه او يلتفت بفعله الى خرافات ينقلها في حقهم جهلة المؤرخين و
يشيعهم في بعضها بعض الجهلة من المفسرين فانهم لقلة فضلهم وعدم تحقيقهم
ربما يغترون في ذلك بظواهر من الكتاب والسنة ولهذا قيل التمسك في معرفة الله تعالى
ومعرفة رسوله بمجرد ظواهر الكتاب والسنة اصل من اصول الكفرة قال الامام السنوسي
وكذلك تلقي هذا العلم من مجرد الكتب والمشايخ المصحفين والمتفقهين بلا تحقيق
واما وجوب التبليغ لهم واستحالة الكتمان عليهم فلانهم لو كتموا شيئا مما امروا بتبليغه
تبليغه لكان الناس مأمورين بالاقتداء بهم في كتمان بعض ما امروا بتبليغه من العلم

الثالث

انا فع لمن اضطر اليه وكيف يتصور ذلك فان الكتمان حرام ملعون فاعله بشهادة
قوله تعالى ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس
في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون واما جواز الاعراض البشرية
في حقهم فلانها لا تقدح في رسالتهم وعلو منزلتهم بل هي مما تزيد في مراتبهم باعتبار
تعظيم اجرهم من جهة ما يقاسونها من قادر على ايصاله اليهم ذلك الثواب
مع تلك الاعراض رفقا بضعفاء العقول لئلا تعتقد فيهم الالوهية وفيها
ايضا اعظم دليل على صدقهم وكونهم مبعوثين من عند الله تعالى وكون ما ظهرت على
ايديهم من الخوارق مخلوقة لله تعالى من غير ان يكون لهم قدرة على اظهارها اذ لو كان لهم
قدرة على اظهارها لدفعوا عن انفسهم ما يسوءهم منها من المرض والجوع والعطش
والم الحر والبرد واذية الخلق ونحو ذلك وفيها ايضا فائدة عظيمة وهي تشريع
الاحكام للخلق المتعلق بها كما عرف احكام السهو في الصلوة من سهوه عليه الصلوة
والسلام وكيفية اداء الصلوة في حال المرض والخوف من فعله عليه الصلوة والسلام
وهيئة اكل الطعام وشرب الماء ونحوه من اكله وشربه عليه الصلوة والسلام فقد
ظهر من هذا ان كلمتي الشهادة مع اختصارهما قد تضمنتا الجميع ما يجب على المكلف
معرفته في حقه تعالى وحق رسله من عقايد الايمان ولذلك جعلهما الشرع دليلا
على ما في القلب من عقايده للايمان حتى لا يقبل من احد الايمان الا بهما فعلى هذا
ينبغي للعاقل ان يستحضر معناهما ثم يشتغل بذكرهما صباحا ومساء حتى تمتزج جامع
معناهما بلحمه ودمه يسر الله المداومة على ذكرهما مع فهم معناهما ولا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم المجلس الرابع عشر في بيان الايمان المنجي لصاحبه يوم

لا يقبل

القيمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد قال لا اله الا الله ثم مات على ذلك
الا دخل الجنة هذا الحديث من صحاح المصابيح رواه ابو ذر فظاهره يقتضي ان يدخل
الجنة كل من يأتي بالكلمة الاولى من كلمتي الايمان وان لم يأت بالكلمة الثانية منهما
وليس كذلك لانه عليه السلام وان لم يذكر فيه احدى كلمتيه لكنها مراده لان قول من يقول
لا اله الا الله لا يستلزم دخول الجنة ما لم ينضم اليه قوله محمد رسول الله اذ لا يتم الايمان
الا بهما ثم انه عليه الصلوة والسلام اشار بقوله ثم مات على ذلك الى لزوم الثبات
على الايمان الى الموت لان من لم يثبت على الايمان بل مات على الكفر لا ينفعه ايمانه الذي
كان قبل ذلك وانما ينفعه الايمان الذي يكون ثابتا الى الموت حيث يكون سببا لدخول الجنة
وان كان له ذنوب كثيرة لم يتب عنها فان من مات على الايمان مع كونه مصرا
على الذنوب غير تائب عنها يكون في مشية الله تعالى ان شاء يعفو عنه ويدخل الجنة
بلا عذاب وان شاء يعذبه بقدر ذنوبه ثم يدخله الجنة ولو بعد حين لكن ينبغي ان
يعلم ان كلمتي الايمان لتضمنهما اثبات ذات الله تعالى وصفاته وافعاله واثبات
رسالة الرسول لا بد ان يكون النطق بهما مع معرفة معناهما لان النطق بهما من
غير معرفة معناهما لا يكفي في حصول حقيقة الايمان لان الايمان مبناه على هذه الاركان
الاربعة فاذا لم يتحقق العلم بما تضمنتا لا يكون لهما طائل ولا محصول اذ ليست فضيلة هاتين
الكلمتين بازاء تحريك اللسان بهما من غير حصول معناهما في القلب بل فضيلتهما بازاء
هذه المعرفة التي هي حقيقة الايمان فعلى هذا يجب على كل مؤمن ان يعتني بشأنهما
في معرفة معناهما اذ هما ثمن الجنة وسبب الخلاص من المهالك في الدنيا والاخرة
وقد نص العلماء على لزوم معرفة معناهما والا لا ينفع بهما تلفظهما في الانقاذ من الخلود

في النار

فان كثيرا من الائمة قد سُئلوا عن شخص ينطق بكلمة الايمان ويصلي ويصوم ويفعل انواعا
من العبادات لكن نطقه وعبادته ليس الا الاتيان بمجرد ظهور الاقوال والافعال على
حسب ما يرى الناس يفعلون ويقولون حتى انه ينطق بكلمة الايمان لكن لا يعلم
ما فيهما معنى ولا يدري معنى الاله ولا معنى الرسول ولا ما ينفي ولا ما اثبت وربما توهم
ان الرسول نظير الاله فهل ينفع هذا الشخص ما صدر عنه من صور الاقوال والافعال
وهل يصدق عليه حقيقة الايمان فيما بينه وبين الله تعالى ام لا فاجابوا جميعا بان مثل
هذا الشخص ليس له من الاسلام نصيب وان صدر عنه من صور اقوال الايمان وافعاله
ما ذكر قال الامام السنوسي هذا الذي ذكروه في حق ذالك الشخص جلي غاية الجلاء
لا يمكن ان يختلف فيه احد من العلماء فعلى هذا يجب على كل من يريد النجاة من العذاب
المؤبد والدخول في الجنة ان يسعى في معرفة معناهما ثم ينطق بهما مع فهم
معناهما بوجه فيه اقرار باللسان وتصديق بالجنان وتحصل له حقيقة الايمان
فالكلمة الاولى من هاتين الكلمتين من نفي واثبات فالمنفي كل فرد من
افراد حقيقة الاله سوى الله تعالى والمثبت فرد واحد من تلك الحقيقة وهو الله تعالى
ومعنى الاله هو الواجب الوجود المستحق للعبادة وهذا المعنى كلي يقبل بحسب مجرد
ادراكه ان يصدق على كثيرين لكن الدليل العقلي القطعي يدل على استحالة التعدد
فيه وكونه خاصا بذات الله تعالى وذالك الدليل وجود العالم فانه لكونه حادثا
محتاجا الى محدث يدل على ان له محدثا وذالك المحدث لا بد ان يكون واحدا
قديما متصفا بالقدرة والارادة والعلم والحيوة لانه لو لم يكن واحدا بل كان اكثر
من واحد لوقع بينهما التمانع المقتضي لعدم وجود العالم ولو لم يكن قديما بل كان حادثا

لكان مفتقرا الى محدث فيلزم الدور والتسلسل وكلاهما محال ولو لم يكن متصفا
بالقدرة والارادة والعلم والحيوة لكان عاجزا عن ايجاد شيء من العالم لان ايجاد
شيء من اثر القدرة في شيء من الاشياء يقتضي ارادة ذلك الشيء وارادة ذلك الشيء
يقتضي العلم به لان القصد الى ايجاد شيء مع عدم العلم به محال والاتصاف بهذه الصفات
الثلث يقتضي الحيوة لكونها شرطا فيها فعلى هذا يكون وجود العالم بل وجود كل ذرة
من ذراته دليلا قاطعا على وجوده تعالى وكونه واحدا قديما متصفا بهذه الصفات
الاربع المذكورة ولهذا كان بعض اهل التوحيد يقولون استدلالا بالاثر على المؤثر
ما راينا شيئا الا راينا الله تعالى بعده فان كل ذرة من ذرات العالم من حيث
حدوثها وافتقارها الى من يوجدها لا تزال ينطق بكلام لا حرف فيه ولا صوت
ان لها موجدا واحدا قديما متصفا بالقدرة والارادة والعلم والحيوة وساير ما يليق
به من الصفات يسمع كلامها السامعون ولا يسمع الذين هم عن السمع لمعزولون والمراد
من السمع السمع الباطني الذي يسمع به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا عربي ولا عجمي
لا السمع الظاهري الذي لا يجاوز الاصوات ويشاركه فيه البهائم والانعام والحاصل
ان المكلف لا يعرف من صفاته تعالى بالعقل الا ما دل عليه افعاله فما لم يدل عليه
افعاله كالسمع والبصر والكلام فقد يستدل بثبوتها له تعالى تارة بالعقل وتارة
بالنقل اما وجه الاستدلال على ثبوتها له تعالى بالعقل فهو انها صفات كمال واضدادها
صفات النقصان واتصافه تعالى بصفات الكمال وعدم اتصافه بصفات النقصان
واجب فوجب اتصافه تعالى بتلك الصفات واما وجه الاستدلال على ثبوتها له تعالى بالنقل
فهو ان الشرع قد ورد بثبوتها له تعالى فوجب القطع بثبوتها له تعالى ودليل النقل في هذه
المسألة

المسئلة الاولى من دليل العقل لان تلك الصفات لا يتوقف عليها افعاله تعالى حتى يستدل بها على ثبوتها له تعالى وذاته تعالى لم يكن معلوما للبشر حتى يعلم انها في حقه تعالى كمال يجب اتصافه بها بحيث لو لم يتصف بها يلزم ان يتصف باضداده بل كونها كمالا انما هو بالنسبة الينا ولا يلزم من كون شيء بالنسبة الينا كمالا ان يكون كمالا في حقه تعالى الا يرى ان اللذة والالم مع كونها بالنسبة الينا كمالا ممتنعان في حقه تعالى لكونهما من عوارض الاجسام هذا التحقيق الكلمة الاولى من كلمتي الايمان واما الكلمة الثانية من هاتين الكلمتين فقد حكم فيها بكون محمد رسولا من عند الله تعالى ولا بد في اثبات ذلك من دليل وذلك الدليل ظهور المعجزة على يده عند ادعائه الرسالة فان المعجزة تصديق فعلي من الله تعالى رسوله لانها فعل من افعاله تعالى خارق للعادة نازل منزلة صريح القول لتصديق رسوله في دعواه الرسالة فانه تعالى لما خلق امرا خارقا للعادة على يده حين ادعائه الرسالة صار كانه قال صدق رسولي في كل ما يبلغ عني سواء كان تصديقه بقوله او فعله او سكوته مثال على ذلك على ما ذكره العلماء ان رجلا اذا قام في مجلس ملك بحضور جماعة وقال انا رسول هذا الملك يبعثني اليكم بكذا وكذا من التكاليف فطلبوا منه حجة تدل على صدقه فقال آيته صدقي اني اطلب من الملك فان ذلك يطابقه فلا شك ان ذلك القول من الملك قائم مقام قوله صدق هذا الرجل في كل ما يبلغ عني ومفيد للعلم الضروري بصدقه بلا فرق بين من شاهد ذلك الفعل من الملك او لم يشاهده بل بلغه خبره بالتواتر ولا ريب ان هذا المثال مطابق لحال رسول الله عليه السلام في افادة معجزة العلم الضروري بصدقه بلا فرق بين من شاهدها

ومن لم يشاهدها بل بلغه خبرها بالتواتر فعلى هذا كل من تكلم بكلمة الايمان لكن معرفة معناها
بما ذكر من الدلائل تحصل له حقيقة الايمان ويجب عليه ان يحفظه مما يفسده بامتثال الاوامر
واجتناب النواهي لان الايمان يشبه السراج وامتثال الاوامر واجتناب النواهي يشبه
المحافظة عليه بجعله في فانوس ووساوس الشيطان يشبه الرياح العاصفة فمن اوقد
سراج الايمان في قلبه ولم يحفظه ولم يجعله في فانوس الطاعات باتيان المامورات
وترك المنهيات يخاف عليه انطفاء سراج ايمانه عند هبوب الرياح العاصفة التي هي
الوساوس الشيطانية ولذلك قال بعض العلماء اياك والذنب فان الذنب
كحجر يوضع على المنجنيق فيضرب به حائط الطاعات ويحصل فيه ثلمة ويدخل منه ريح الهوى
ويطفئ سراج الايمان فان زوال الايمان لا يكون الا لمن كان له فساد في قلبه او اصرار
على المعاصي يدل على ذلك قوله عليه السلام المعاصي بريد الكفر فان الاصرار على الصغائر يفضي
الى الكبائر والاستمرار عليها يؤدي الى الكفر كثيرا ما انظر قول الله تعالى في حق اليهود وضربت
عليهم الذلة والمسكنة وباءو بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله
ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون فانه تعالى بين في هذه
الاية ان العصيان والعدوان جرهم الى الكفر وقتل الانبياء وحكاية مثل ذلك
في كتابه لطف منه بامته ليسمعوه ويحترزوا عنه فانه عليه الصلاة والسلام لما كان
خير الخلق وافضلهم كان امته خير الامم وافضلهم فلا ينبغي لمن كان من خير الامم
وانتسب الى خير الخلق ان يرضى بنفسه ان يكون من شر الناس بارتكاب المعاصي
بل ينبغي له ان يسعى في اصلاح نفسه بالايمان والعمل الصالح حتى يكون من خير الناس
كما قال الله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية وقال

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم خير الناس من طال عمره وحسن عمله وشر الناس من طال عمره
وساء عمله وفي حديث اخر انه عليه السلام قال خيركم من يرجى خيره ويؤمن شره
وشركم من لا يرجى خيره ولا يؤمن شره وفي حديث اخر انه عليه السلام قال
شر الناس عند الله تعالى منزلة من يتركه الناس اتقاء شره وفي رواية اتقاء فحشه روي
ان اعمال الامة تعرض على نبيها في البرزخ فليستح العبد ان يعرض على نبيه من عمله
ما نهاه عنه وقيل من اذنب ذنبا فجميع الخلائق من الانس ما نهاه عنه وقيل من
اذنب ذنبا فجميع الخلائق من الانس والدواب والوحوش والطيور والذر خصماؤه
يوم القيمة لانه تعالى يمنع المطر بشؤم المعصية فيفهم من هذا الكلام ان اصل الروائح جميعا
فعلى المؤمن ان يحترز عن جميع المعاصي يسر الله الاحتراز عنها

والدواب والوحوش والطيور والذر خصماؤه

المجلس الحادي عشر

في بيان ان كل مولود يولد على فطرة الاسلام وفيه تفصيل قال رسول الله
عليه الصلوة والسلام ما من مولود الا يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه
او يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء حتى تكونوا انتم تجدعونها
ثم قال فطرة الله التي فطر الناس عليها هذا الحديث من صحاح المصابيح رواه ابو هريرة
ومعناه ان كل مولود من البشر لا يولد الا على الجبلة السليمة والبنية المستعدة لمعرفة
الله تعالى والتميز بين الحق والباطل بما ركبت فيه من العقل القويم والوضع المستقيم ولو لم
يعترضه من الخارج آفة من فساد التربية وتقليد الابوين والانهماك في الشهوات
ونحو ذالك من الآفات لعرف فطرته ما نصب لمعرفة الله تعالى من الدلائل واستدل بها
على وجوده تعالى وقدمه وكونه واحدا متصفا بالقدرة والارادة والعلم والحيوة وساير
ما يليق به من الصفات لكن لبعده عن ذالك لما ذكر من الآفات كالبهيمة تولد سوية

الاطراف سليمة من الجدع الذي هو قطع الانف والاذن والشفة فلو لم يتعرض لها احد بالكي
وقطع شي مما ذكر لبقيت سليمة كما كانت فانه عليه السلام فانه عليه السلام شبه ولادة الطفل
على الفطرة السليمة بولادة البهيمة سليمة غير ان المراد بالسلامة في البهيمة سلامتها
عن العيوب المعنوية المانعة عن معرفة الله تعالى وقبول امره ونهيه ثم انه عليه السلام بعد ما بين
ان الناس كلهم يولدون على الفطرة التي هي الاستعداد القابل لمعرفة الله تعالى والتميز
بين الحق والباطل بما ركب فيهم من العقول حثهم عليها فقال على طريق الاقتباس
فطرة الله التي فطر الناس عليها فانه في قوة ان يقال الزموا فطرة الله التي هي الاستعداد
القابل لمعرفة الله تعالى والتميز بين الحق والباطل فعلى هذا كان الواجب على كل مكلف
ان لا يضيع تلك الفطرة بل ينبغي له ان يستعملها في تحصيل معرفة الله تعالى والتميز بين الحق
والباطل وليس المراد بمعرفة الله تعالى معرفة ذاته تعالى لان ذاته تعالى ليست معلومة
للبشر بل المراد بها معرفة صفاته وصفاته نوعان سلبية وثبوتية اما السلبية فهي تنزيهه
تعالى عن جميع ما لا يليق به مما يشعر بالاحتياج والنقصان واما الثبوتية فهي قسمان القسم
الاول الصفات التي يتوقف عليها افعاله تعالى وهي القدرة والارادة والعلم والحياة
والقسم الثاني الصفات التي لا يتوقف عليها افعاله وهي السمع والبصر والكلام والقسم الثاني
الصفات التي لا يتوقف عليها افعاله وهي السمع والبصر والكلام وتحقيق ذلك
انه تعالى ليس محسوسا كالشمس والقمر حتى يعلم وجوده بالحس وليس العلم بوجوده ضروريا
كالعلم بكون الواحد نصف الاثنين حتى يعلم وجوده بالضرورة بل انما يعلم وجوده
بالدليل وذلك الدليل حدوث العالم وبيان حدوثه انه اعيان واعراض والمراد
بالاعيان الاجرام القائمة بذواتها والمراد بالاعراض الصفات التي لا تقوم

بذواتها

بذواتها والمراد بالاعراض الصفات التي لا تقوم بذواتها بل تقوم بالاجرام ونحوها
ولا تنفك عنها وكل منهما حادث اما الاعراض فحدوث بعضها معلوم بالمشاهدة
كالحركة بعد السكون والضوء بعد الظلمة والسواد بعد البياض وحدوث بعضها معلوم بالدليل
وهو طريان العدم كما في اضداد ما ذكروا اما الاجرام فدليل حدوثها انها لا تخلو عن الحوادث
وكل ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث اما عدم خلوها عن الحوادث فلانها لا تخلوا
عن الحوادث وكل ما لا يخلوا عن الحوادث فهو حادث اما عدم خلوها عن الحوادث
فلانها لا تخلوا عن الحركة والسكون وهو ظاهر مدرك بالبديهة والاضطرار فلا يحتاج
فيه الى تامل واما الحركة والسكون حادثان يدل على حدوثهما تعاقبهما وانقضاء كل منهما
عند وجود الاخر وذلك مشاهد في بعض الاجرام وما لم يشاهد فيه ذلك فما من ساكن الا
والعقل يقتضي بجواز حركته وما من متحرك الا والعقل يقتضي بجواز سكونه فالطاري
منهما حادث لطريانه والسابق حادث اذ لو كان قديما لاستحال عدمه واما كون
ما لا يخلوا عن الحوادث حادثا فلانه لو لم يكن حادثا لكان قديما ثابتا في الازل
فيلزم ثبوت الحادث في الازل وهو محال او يلزم ان يكون قبل كل حادث حادث
حوادث مترتبة لا اول لها فانهم ومن يتبعهم ممن ينسب نفسه الى الاسلام وليس منه
بنصيب قالوا ان العالم العلوي قديم بذاته وصفاته الا الحركات فانها حادثة
باشخاصها قديمة بانواعها فلا حركة الا وقبلها حركة الى لا اول واما العالم السفلي
الذي هو عالم الكون والفساد وهو ما تحت فلك القمر فقالوا ان هيولاه قديمة وكل ما فيه
من الصور والاعراض حادثة باشخاصها قديمة بانواعها فلا مولود الا من والد ولا
بيضة الا من دجاجة ولا دجاجة الا من بيضة ولا زرع الا من بذر وهكذا الى غير النهاية.

كما تقول الفلاسفة في
حركات الافلاك
واشخاص الحيوانات
وغيرها ح

فيلزم على قولهم ان يوجد حوادث لا اول لها اذ ما من حادث على قولهم الا وقبله
حادث لا الى اول وعلى تقدير وجود الحوادث لا اول لها يلزم ان يكون قبل كل حادث
من حركات الافلاك واشخاص الحيوانات وغيرها حوادث مرتبة للعلل والمعلول
فينقض تلك الحوادث بجملتها الا تنتهي النوبة الى وجود الحادث الحاضر لان الحركة
اليومية وجودها مشروطة بانقضاء ما قبلها وكذلك الحركة التي قبلها وجودها
مشروطة بمثل ذلك وهلم جرا وانقضاء ما لا اول لها محال بيانه انك اذا لاحظت
الحادث الحاضر ثم انتقلت منه الى ما قبله ولاحظته وهلم جرا على الترتيب لا تنتهي
الى نهاية حتى تجد طريقا الى وجود الحادث الحاضر فيلزم ان يكون وجود الحادث
الحاضر محالا ولكن وجود الحادث الحاضر ثابت فيبطل وجود حوادث لا اول لها
واذا بطل وجود حوادث لا اول لها بطل كون ما لا يخلو عن الحوادث قديما ثابتا
في الازل فاذا بطل كونه قديما ثابتا في الازل ثبت كونه حادثا فاذا ثبت كونه
حادثا ثبت كون العالم بجميع اجزائه من السموات وما فيها ومن الارض وما عليها
حادثا محتاجا الى المحدث يخرجه من العدم الى الوجود وذلك المحدث يلزم ان يكون
قديما واحدا متصفا بالقدرة والارادة والعلم والحياة لانه لو لم يكن قديما بل كان
حادثا لكان محتاجا الى المحدث فيلزم الدور والتسلسل الذي هو وجود حوادث لا اول
لها وكلاهما محال ولو لم يكن واحدا بل كان اكثر من واحد لوقع بينهما التمانع الموجب
لعدم وجود العالم ولو لم يكن متصفا بالقدرة والارادة والعلم والحياة لكان عاجزا
عن ايجاد شيء من العالم لان الايجاد اثر القدرة وتاثير القدرة في شيء من الاشياء
يقتضي ارادة ذلك الشيء وارادة ذلك الشيء تقتضي العلم به لان القصد الى ايجاد شيء

مع

مع عدم العلم محال والاتصاف بهذه الصفات الثلث يقتضي الحيواة لكونها
شرطا فيها فعلى هذا يكون وجود العالم بل وجود كل ذرة من ذراته دليلا قطعيا على
وجوده تعالى وكونه قديما واحدا متصفا بهذه الصفات الاربع ولهذا كان بعض
اهل النظر يقولون استدلالا بالاثر على المؤثر ما رأينا شيئا الا رأينا الله تعالى بعده فان كل
ذرة العالم من حيث حدوثها وافتقارها الى من يوجدها لا تزال تتكلم بكلام لا حرف
فيه ولا صوت ان لها موجدا قديما واحدا متصفا بالقدرة والعلم والارادة
والحيواة وسائر ما يليق به من الصفات يسمع كلامها السامعون ولا يسمعها الذين
هم عن السمع لمعزولون بعيونهم والمراد من السمع السمع الباطن الذي يسمع به كلام
ليس بحرف ولا بصوت ولا عربي ولا عجمي لا السمع الظاهر الذي لا يسمع غير الاصوات
وتشارك فيه البهائم الانسان اذ لا قدر لشيء تشارك فيه البهائم الانسان والحاصل
ان المكلف لا يعرف من صفاته تعالى بالعقل الا ما دل عليه افعاله تعالى فما لم يدل عليه
افعاله كالسمع والبصر والكلام فقد يستدل على ثبوتها له تارة بالعقل وتارة بالنقل
اما وجه الاستدلال على ثبوتها له تعالى بالعقل فهو انها صفات كمال واضدادها صفات
نقصان واتصافه تعالى بالصفات الكمال وعدم اتصافه بصفات النقصان واجب
فوجب اتصافه تعالى بتلك الصفات واما وجه الاستدلال على ثبوتها له تعالى بالنقل فهو ان
الشرع قد ورد بثبوتها له تعالى فوجب القطع بثبوتها له تعالى ودليل النقل في هذه المسئلة
اقوى من دليل العقل لان تلك الصفات لا يتوقف عليها افعاله تعالى حتى
يستدل بها على ثبوتها له تعالى وذاته تعالى لم يكن معلوما لاحد حتى يعلم انها في حقه تعالى يجب اتصافه
بها حتى لو لم يتصف يلزم ان يتصف باضدادها وما ذكر من كونها كمالا انما هو بالنسبة

الينا ولا يلزم من كون الشي بالنسبة الينا كمالا ان يكون في حقه تعالى كمالا الا ترى ان اللذة
والالم مع كونهما كمالا بالنسبة الينا ممتنعان على الله تعالى لكونهما من عوارض الاجسام
فعلى هذا يلزم في اثبات تلك الصفات له تعالى التمسك بالنقل واما في حق الانبياء الذين
ثبت نبوة كل واحد منهم بالمعجزة القائمة مقام قوله صدق عبدي في كل ما يبلغ عني
سواء كان تبليغه بقوله او فعله او سكوته لان المعجزة تصديق فعلي من الله تعالى لرسوله
لكونها فعلا من افعاله تعالى خارقا للعادة منزلا منزلة صريح القول في تصديق رسوله
في دعوى الرسالة فانه تعالى لما خلق امرا خارقا للعادة على يده عقيب ادعائه الرسالة صار كانه
قال صدق رسولي في كل ما يبلغ عني سواء كان تبليغه بقوله او فعله او سكوته مثال ذالك
على ما ذكره العلماء ان رجلا اذا قام في مجلس ملك بحضور جماعة وقال انا رسول هذا الملك
يبعثني اليكم بكذا وكذا من التكاليف فطلبوا منه حجة تدل على صدقه فقال الحجة على صدقي
ان اطلب من الملك ان يخالف عادته ويقوم من مقامه ويقعد ثلث مرات ففعل
الملك ذالك بطلبه فلا ريب ان ذالك الفعل من الملك قائم مقام قوله صدق
هذا الرجل في كل ما يبلغ عني ومفيد للعلم الضروري بصدقه لمن يشاهد ذالك الفعل من الملك
ولمن لم يشاهده بل وصل اليه خبره بالتواتر ولا شك ان هذا المثال مطابق لحال
الرسل عليهم الصلوة والسلام في افادة معجزتهم العلم الضروري بصدقهم لمن يشاهدها ولمن لم
يشاهدها بل وصل اليه خبرها بالتواتر فاذا ثبت صدقهم يجب الايمان بهم ولا يحصل
الايمان بهم الا المعرفة ما يجب في حقهم وما يستحيل عليهم وما يجوز لهم فما يجب في
حقهم الصدق والامانة وتبليغ ما امروا بتبليغه وما يستحيل عليهم اضداد هذه
الصفات وهي الكذب والخيانة وكتمان ما امروا بتبليغه وما يجوز لهم الاعراض

التي بمرتبة

البشرية التي لا تؤدي الى النقص في مراتبهم كالمرض ونحوه اما وجوب الصدق في حقهم واستحالة
الكذب عليهم فلان معجزاتهم قد دلت على صدقهم فلو جاز لهم الكذب لادى الى ابطال
دلالة المعجزة على الصدق وهو محال واما وجوب الامانة في حقهم واستحالة الخيانة
عليهم فلانهم لو خانوا بفعل شيء مما هو حرام او مكروه لكنا مامورين باتباعهم فيه
لانه تعالى امر الخلق باتباعهم في افعالهم واقوالهم وسكوتهم فلو علم الله منهم خيانة لما امر الخلق
باتباعهم فثبت بذلك انه تعالى عصمهم عن فعل شيء مما هو حرام او مكروه فلا يقع
منهم الا ما هو واجب او مندوب او مباح هذا بالنظر الى نفس الفعل واما بالنظر اليهم
فالحق ان افعالهم دائرة بين الوجوب والندب لا غير لان المباح لا يقع منهم
كما يقع من غيرهم بمقتضى الشهوة بل انما يقع منهم بنية صالحة يصير بها عبادة داخل
ذلك قصد التعليم لغيرهم اذا ثبت هذا فالواجب على كل مؤمن ان يكون على حذر
عظيم ووجل شديد على ايمانه ان يسلب منه بان يصغي باذنه ويلتفت بذهنه الى
خرافات ينقلها في حقهم كذبة المؤرخين وتبعهم في بعضها بعض الجهلة من المفسرين
فانهم لقلة تحصيلهم وعدم تحقيقهم ربما يغترون في ذلك بظواهر من الكتاب والسنة من غير
تفصيل بين ما يستحيل ظاهره منها وبين ما لا يستحيل فلا خفاء في كونه اصلا من اصول
الكفر والبدعة قال الامام السنوسي وكذلك يلقى هذا العلم من مجرد الكتب والمشايخ
المصحفين والمتفقهين بلا تحقيق واما وجوب التبليغ في حقهم واستحالة الكتمان عليهم
فلانهم لو كتموا شيئا مما امروا بتبليغه لكان الناس مامورين باتباعهم في كتمان بعض
ما امروا بتبليغه من العلم النافع لمن اضطر اليه وكيف يتصور ذلك والكتمان
حرام ملعون فاعله بشهادة قوله تعالى ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى

من بعد ما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون واما جواز الاعراض
البشرية لهم فلانها لا تقدح في رسالتهم وعلو منزلتهم بل هي جابرة في مراتبهم باعتبار
تعظيم اجرهم من جهة ما يقابل نقصان طاعة جبرهم من جهة ما يقابلها من طاعة جبر
هم فانه تعالى كان قادرا على ايصال اليهم ذلك الثواب العظيم بلا مشقة لتحقيقهم لكن
تعظيم حكمة اختيار ان يوصل اليهم ذلك الثواب مع تلك الاعراض رفقا
لضعفاء العقول كيلا يعتقدوا فيهم الالوهية وفيها ايضا اعظم دليل على صدقهم وكونهم
مبعوثين من عند الله تعالى وكون ما ظهر على ايديهم من الخوارق مخلوقة لله تعالى من
غير ان يكون لهم قدرة على اختراعها لدفعوا عن انفسهم ما سواهم منها من المرض
والجوع والعطش والم الحر والبرد واذية الخلق ونحو ذلك وفيها ايضا فائدة
عظيمة وهي تشريع الاحكام للخلق المتعلقة بها كما عرف في شريعتنا احكام سهو في
الصلوة من سهو نبينا عليه السلام في الصلوة وكيفية اداء الصلوة في حال المرض
والخوف من فعله عليه السلام وهيئة اكل الطعام وشرب الماء ونحو ذلك من اكله
وشربه عليه السلام

المجلس السادس عشر في تحقيق السعيد والشقي

وبيان اقسام الكفر وغيره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان العبد ليعمل عمل
اهل النار وانه من اهل الجنة ويعمل عمل اهل الجنة وانه من اهل النار وانما الاعمال بالخواتيم
هذا الحديث من صحاح المصابيح رواه سهل بن سعد وليس فيه دلالة على ترك العمل
بل فيه حث للعبد على مواظبة الطاعات واجتناب السيئات في كل وقت
من اوقات العمر خوفا من ان يكون ذلك الوقت اخر عمره وفيه ايضا الزجر
عن العجب والفرح بالاعمال لانه لا يدري ماذا يصيبه في العاقبة اذ رب شخص يعمل عمل اهل الجنة

من الايمان

من الايمان والطاعات الى الكفر والمعاصي فيموت على الكفر والمعاصي فيدخل النار ورب شخص يعمل عمل اهل النار من الكفر والمعاصي وفي تقدير الله تعالى انه من اهل الجنة فيتحول في آخر عمره من الكفر والمعاصي الى الايمان والطاعات فيدخل الجنة فلذلك قال النبي صلعم انما الاعمال بالخواتيم يعني ان اعمال العبيد متعلقة في السعادة والشقاوة بالخواتيم وفي حديث آخر انه عليه السلام قال اعملوا فكل ميسر لما خلق له اما من كان من اهل السعادة فييسر لعمل اهل السعادة واما من كان من اهل الشقاوة فييسر لعمل اهل الشقاوة فانه عليه السلام بين في هذا الحديث ان كل احد مهيأ وموفق للذي خلق لاجله من الخير والشر فمن خلق وقدر انه من اهل الجنة يجري الله تعالى على يديه اعمال اهل الجنة وييسر عليه حتى يموت ويدخل الجنة ومن خلق وقدر انه من اهل النار يجري الله تعالى على يديه اعمال اهل النار وييسر عليه حتى يموت ويدخل النار فالعمل دليل لا يعلم ان الشخص من اي الصنفين يكون ومن هذا كان الواجب على ان لا يكون غافلا عن العمل الصالح في وقت من الاوقات لانه لا يدري متى يأتيه الموت اذ ليس سن معلوم ولا وقت معلوم ولا مرض معلوم فطوبى لمن رزق الله تعالى الفهم واليقظة من نوم الغفلة والتفكر في امر الخاتمة ويسأل الله تعالى ان يجعلها في ضمن البشارة فان المؤمن له بشارة من الله تعالى عند الموت كما قال الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون فالمعنى من هذه الآية ان الذين اقروا بربوبيته واعترفوا بوحدانيته ثم استقاموا على ذلك

الا قرار وذلك الاعتراف بالموت باتيان جميع المأمورات واجتناب جميع المنهيات

اذ لا يتحقق الاستقامة بدون ذلك بل يحصل الاعوجاج بترك شيء من

المأمورات او ارتكاب شيء من المنهيات تتنزل عليهم الملائكة من جهته تعالى

عند الموت بالبشارات التي هي قولهم ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي

وعدكم الله تعالى بها على لسان نبيكم وقال لاعدائه فتمنوا الموت ان كنتم صادقين

ولا يتمنونه ابدا بما قدمت ايديهم والله عليم بالظالمين فتبين سبحانه وتعالى في هذه

الآية ان الصادقين في اقرارهم لكونهم مستعدين للموت يتمنونه ولا يفرون

منه لكون عملهم حسنا واما الظالمون فلعدم كونهم مستعدين لا يتمنونه بل يفرون

منه لكون عملهم سوءا فان عمل السوء وان لم يخرج المؤمن عن الايمان الا انه سبب

لسوء خاتمة وشوم عاقبة فان سوء الخاتمة لا يكون الا لمن كان له فساد في الاعتقاد

او اصرار على المعاصي او عدول عن الاستقامة او ضعف في الايمان اما الفساد

في الاعتقاد فبان يكون في قلبه شيء من انواع الشرك بان انواع الشرك ستة احدها

الشرك ٦

شرك استقلال وهو اثبات الهين مستقلين كشرك الثنوية فانهم قالوا الحوادث في العالم

من الخير او شر الخير والواحد لا يكون خيرا وشريرا بالضرورة فلا بد ان يكون لكل منهما

فاعل على حدة ثم انهم انقسموا قسمين القسم الاول المانوية والديصانية فانهم

قالوا فاعل الخير النور وفاعل الشر الظلمة والقسم الثاني المجوس فانهم قالوا فاعل

الخير يزدان وفاعل الشر اهرمن يعنون به الشيطان ثم اختلفوا في ان اهرمن

قديم كيزدان او حادث منه والثاني من انواع الشرك شرك تبعيض وهو جعل الاله

مركبا من آلهة كشرك النصارى فانهم اثبتوا الاقانيم الثلاثة التي هي الوجود والعلم

والحياة

والجزء انما هو حكموا انها الهة ثلثة واعتقدوا ان الاله مركب من هذه الثلثة وقالوا
بمجموع هذه الثلثة اله واحد وجعلوا الذات الواحدة ثلث صفات وذالك
غير معقول للعاقل والثالث من انواع الشرك شرك تقريب وهو عبادة غير الله تعالى
ليقرب الى الله تعالى كشرك متقدمي عبدة الاصنام فانهم لما راوا ان عبادتهم للمولى
العظيم على ما هم عليه من غاية الذرارة ونهاية الحقارة سوء ادب عظيم تقربوا
اليه بعبادة ما هو اعلى منهم عنده كالملائكة والشمس والقمر والنجوم والنار ونحوها ثم انهم
لما رأوا غيبة من اختاروا عبادته عنهم صنعوا الاصنام التماثيل لما غاب عنهم من معبوداتهم
واشتغلوا بعبادتها ونيتهم في ذالك ان يتقربوا الى ما جعلوه مثالا له وقصدهم
من جميع ذالك ان يتقربوا الى المولى العظيم لكن تلاعب الشيطان بعقولهم
واوقعهم في الضلال والرابع من انواع الشرك شرك تقليد وهو عبادة غير الله تعالى
تقليدا بغيره كشرك متاخري عبدة الاصنام فانهم لما وجدوا اباؤهم واجدادهم مشتغلين
بعبادتها قلدوهم فيها وقالوا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون
وهم كما انهم في ضلال مبين والخامس من انواع الشرك شرك الاسباب وهو اسناد
التاثير للاسباب العادية كشرك الفلاسفة والطبائعيين ومن تبعهم على ذلك
من جهلة المؤمنين فانهم لما راوا ارتباط الشبع باكل الطعام وارتباط الري
بشرب الماء وارتباط ستر العورة بلبس الثياب وارتباط الضوء بالشمس ونحو
ذلك مما لا ينحصر فهموا بجهلهم ان تلك الاشياء المؤثرة فيما ارتبط وجوده معها
اما بطبعها او بقوة وضعها الله تعالى فيها وهو غلط وسبب غلطهم قياسهم ادراك الحس
بادراك العقل فان الذي شاهدوه انما هو تاثير شيء عند شيء وهذا هو خط الحس واما تاثيره

فيه فلا يدرك بالحس بل انما يدرك بالعقل والسادس من انواع الشرك شرك
الاغراض وهو العمل لغير الله تعالى كشرك المرائين فانهم عند عملهم المامور به من واجب
ومندوب وعند تركهم المنهي عنه من محرم او مكروه ليس مقصودهم طلب رضاء الله تعالى
بل مقصودهم مجرد نيل مدح من بعض عبيده او جاه او رياسة من عنده او ظفر بمال
من قبله او صرف مذمة او اهانة ونحوها ومثله العمل المجرد للظفر بالحور والقصور ونعيم الجنان
والنجاة من النيران والسبب الحامل لهم على ذلك نسيانهم توحيده تعالى وتوهمهم امكان
حصول نفع او ضرر من غيره تعالى وتوهموا كون الخلق قادرين على دفع النفع
والضرر حتى راؤهم في طاعتهم وتوهموا كون طاعتهم موثرة في استجلاب النفع او دفع
الضرر في الدنيا والاخرة وليس كذلك بل لو انهم احضروا في ذهنهم انفراده تعالى بخلق
جميع الكائنات بلا واسطة وعدم تاثير لكل ما سواه في الزما ومن جملة ذلك طاعتهم
لكانوا لا يقصدون بطاعتهم التي وفقوا لها الا مجرد الامتثال لامر الله تعالى ثم تطمعوا
عندها فيما وعد به الله تعالى من الخير معتقدا محض فضله من غير وجوب ولا استحقاق
وحكم الاربعة الاول التي هي شرك استقلال وشرك تبعيض وشرك تقريب وشرك
الاغراض المعصية بالاجماع وحكم الخامس الذي هو شرك الاسباب التفصيل وهو ان اهل
هذا الزمان في اعتقادهم التاثير لتلك الاسباب مختلفون فمنهم من يعتقد ان تلك
الاسباب توثر بطبعها وحقيقتها في الاشياء التي تقارنها ولا خلاف في كفر
من يعتقد هذا ومنهم من يعتقد ان تلك الاسباب لا توثر بطبعها وحقيقتها
بل بقوة اودعها الله فيها ولو نزعها منها لا توثر بطبعها وحقيقتها بل قد تبعهم
في هذا الاعتقاد كثير من عامة المؤمنين ولا خلاف في بدعة من يعتقد هذا وانما

الخلاف

وشرك تقليد الكفر بالاجماع وحكم
ان [illegible] الذي هو ص

الخلاف في كفره بعد كمال شيء من هذه المذكورات ولم يسمع في اذانه عن تقي
واصلاح شانه بخيم لذا بالمورد ان كان مع كمال الزهد والصلاح لان زهده وصلاحه
انما ينفعه اذا كان مع الاعتقاد الصحيح الموافق للكتاب الله تعالى وسنة رسوله
واما اذا لم يكن مع الاعتقاد الصحيح الموافق لهما بل كان مع الاعتقاد الفاسد
المخالف لهما فلا ينفعه واما الاصرار على المعاصي فبان يحصل في قلبه الغفلة فان جميع ما
الفه الانسان في عمره يعود ذكره عند موته فان كان ميله الى الطاعات اكثر يكون
اكثر ما يحضره عند موته ذكر الطاعات وان كان ميله الى المعاصي اكثر يكون اكثر
ما يحضره عند موته ذكر المعاصي فربما يغلب عليه حين نزول الموت قبل التوبة
شهوة من الشهوات او معصية من المعاصي فيقيد بها قلبه وتصير حجابا بينه وبين ربه و
سببا لشقاوته في اخر حياته لقوله عليه السلام المعاصي بريد الكفر واما الذي لم يرتكب ذنبا اصلا
او ارتكب لكن تاب فهو بعيد عن هذا الخطر واما العدول عن الاستقامة فبان
يظهر فيه الاعوجاج فان من كان مستقيما في ابتدائه ثم تغير عن حاله وخرج عما كان
عليه في ابتدائه يكون سببا لسوء خاتمته وشؤم عاقبته كابليس الذي كان في ابتدائه رئيس
الملائكة ومعلمهم واشدهم اجتهادا في العبادة حتى قيل لم يبق في سبع سموات
وسبع ارضين موضع شبر الا هو سجد فيه ثم لما امر بالسجود لادم عليه السلام ابى
واستكبر وكان من الكافرين وكبلعام بن باعور الذي اتاه الله تعالى آيته
فانسلخ منها بخلوده الى الدنيا واتباع هواه وكان من الغاوين وكبرصيصا
العابد الذي قال له الشيطان اغواه على الكفر فلما كفر تبرء منه مخافة ان يشركه
في العذاب ولم ينفعه ذلك كما قال الله تعالى وكان عاقبتهما انهما في النار خالدين فيها

زبدة م

اكفر فلما كفر قال اني بريء منك اني اخاف الله رب العالمين فان الشيطان ٣

وذلك جزاء الظالمين وإنما يضعف في الإيمان بأن يكون حب الله تعالى في قلبه
ضعيفا فإن من كان في الإيمان ضعيف يستولي على قلبه حب الدنيا بحيث
لا يبقى فيه لحب الله تعالى إلا من حيث حديث النفس على وجه لا يظهر له أثر في
مخالفتها ولا يؤثر في الكف عن المعاصي إلا في الحث على الطاعات فينهمك
في الشهوات وارتكاب السيئات فتراكم ظلمات الذنوب على قلبه ولا يزال
تطفئ ما فيه من نور الإيمان مع ضعفه فإذا جاءته سكرات الموت وأعلم أنه
يفارق الدنيا وهي محبوبة له وحبها غالب عليه حتى لا يريد تركها ويتألم من فراقها
يرى ذلك من الله تعالى فيخشى عليه أن يحصل في قلبه بغضه تعالى بدل حبه فإن اتفق
خروج روحه في تلك الخطرة يختم له بالسوء ويهلك هلاكا أبديا والسبب
المفضي إلى هذه الورطة حب الدنيا والركون إليها والفرح بها مع ضعف الإيمان
الموجب لضعف حب الله تعالى وهو الداء العضال الذي عم أكثر الخلق فمن أراد
النجاة من هذه الورطة فعليه بعد إخراج حب الدنيا من قلبه وتصحيح اعتقاده أن
يحترز عن مشاهدتها ومشاهدة أهلها وأن يواظب على الطاعات التي هي ثمرة حب الله تعالى
عن معاصيه صح
ولا يتصور محبة الله تعالى إلا بعد معرفته لأن لا يحب الإنسان ما لا يعرفه وإنما يحب ما يعرفه
فمن عرف الله كما يجب عليه معرفته وعرف أن جميع النعم الواصلة إليه وإلى غيره
ليس إلا منه تعالى لا جرم يحبه فإذا أحبه سعى في تحصيل رضاته ويحترز عن موجبات
سخطه فيكون لائقا لوصول إحسانه ودخول جنانه بمقتضى وعده يسر الله تعالى

المجلس السابع عشر

في بيان عدم جواز الصلاة عند القبور والاستمداد
من أهلها واتخاذ السرج والشموع عليها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعنة الله على اليهود
والنصارى

[عليهم] والنصارى اتخذوا قبور انبيائهم مساجد هذا الحديث من صحاح المصابيح رواه ام
المؤمنين عائشة وسبب دعائه عليه السلام على اليهود والنصارى بالعنة كانوا يصلّون
في المواضع التي دفن فيها انبيائهم اما نظرًا منهم بان السجود لقبورهم تعظيم لهم
وهذا شرك جلي ولهذا واضح قال النبي عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد او ظنّا
منهم بان التوجه الى قبورهم حالة الصلوة اعظم وقعا عند الله تعالى لاشتماله على امرين
عبادة الله تعالى وتعظيم انبيائه وهذا شرك خفي ولهذا نهى النبي عليه الصلوة والسلام
عن الصلوة في المقابر احترازا عن مشابهتهم بهم وان كان القصدان مختلفين
وقال من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ولا تتخذوا القبور مساجد
اني انهاكم عن ذالك قال بعض المحققين والصلوة في المواضع المتبركة من
مقابر الصالحين داخلة في هذا النهي لا سيما اذا كان الباعث عليها تعظيم
هؤلاء لما في ذالك من الشرك الخفي فان مبدأ عبادة الاصنام كان في قوم
نوح النبي عليه السلام من جهة عكوفهم على القبور كما اخبر الله تعالى في كتابه بقوله قال نوح
رب انهم عصوني واتبعوا من لم يزده ماله وولده الا خسارا ومكروا مكرا كبارا وقالوا
لا تذرن الهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا قال ابن عباس
وغيره من السلف كان هؤلاء قوما صالحين في قوم نوح النبي عم فلما ماتوا
عكف الناس على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الامد فعبدوهم وكان
هذا ابتداء عبادة الاصنام وقال ابن القيم في اغاثة اللهفان نقلا عن شيخه ان هذه
العلة التي لاجلها نهى الشارع اتخاذ القبور مساجد هي التي اوقعت كثيرا من الناس
اما في الشرك الاكبر او فيما دونه من الشرك فان الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه

اقرب الى النفوس من الشرك بشجر او حجر ولهذا تجد اكثر الناس من الضالين عند القبور يتضرعون
ويخشعون ويخضعون ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلون مثلها
في بيت الله تعالى ولا في وقت السحر ويرجون من بركة الصلوة عندها والدعاء
ما لا يرجونه في المساجد فلحسم مادة هذه المفسدة نهى النبي عليه السلام عن الصلوة في المقبرة
مطلقا وان لم يقصد المصلي بصلواته فيها بركة البقعة كما نهى عن الصلواة
وقت طلوع الشمس ووقت غروبها ووقت استوائها لانها اوقات يقصد المشركون
الصلواة للشمس فيها فنهى امته عن الصلوة فيها وان لم يقصد ما قصده المشركون
واذا قصد الرجل الصلوة عند المقبرة متبركا بالصلوة في تلك البقعة فهذا
عين المحادة لله تعالى ولرسوله والمخالفة لدينه وابتداع دين لم يأذن الله تعالى
فان العبادات مبناها على الاستنان والاتباع لا على الهوى والابتداع فان المسلمين
اجمعوا على ما علموه من دين نبيهم ان الصلوة عند المقبرة منهي عنها لان فتنة
الشرك بالصلوة فيها ومشابهة عبادة الاصنام اعظم كثيرا من مفسدة الصلوة
والسلام لما نهى عن تلك المفسدة سدا للذريعة التشبيهية التي لا تكاد تخطر
ببال المصلي فكيف بهذه الذريعة التي كثيرا ما تدعو صاحبها الى الشرك بدعاء
الموتى وطلب الحوائج منهم واعتقاد ان الصلوة عند قبورهم افضل من الصلواة
في المساجد وغير ذلك مما هو محادة ظاهرة لله تعالى ولرسوله قال ابن القيم
فيما عاشه من جمع بين سنة رسول الله عم في القبور وما امر به ونهى عنه
وما كان عليه الصحابة والتابعون وبين ما كان عليه اكثر الناس اليوم
راى احدهما مضادا للآخر ومناقضا له بحيث لا يجتمعان ابدا فانه عليه السلام

فلحسم
بركة البقعة

حين طلوع الشمس ثم حين غروبها وحين
استوائها فانه عليه الصلوة م

نهى

ونهى عن الصلوة عندها وهم يخالفون ويصلون عندها ونهى عن اتخاذ المساجد
عليها وهم يخالفونه ويبنون عليها مساجد ويسمونها مشاهد ونهى عن ايقاد
السرج عليها وهم يخالفونه ويوقدون عليها القناديل والشموع بل
يقفون لذلك اوقافا ونهى عن تجصيصها واثار عليها وهم يخالفونه و
يجصصونها ويعقدون عليها القباب ونهى عن الكتابة عليها وهم
يخالفونه ويتخذون عليها الالواح ويكتبون عليها القران وغيره ونهى
عن الزيادة عليها غير ترابها وهم يخالفونه ويزيدون عليها سوى التراب
الاجر والاحجار والجص ونهى عن اتخاذها عيدا وهم يخالفونه ويتخذونها
عيدا ويجتمعون لها كما يجتمعون للعيد او اكثر والحاصل انهم مناقضون
لما امر به النبي عليه السلام ونهى عنه ومحادون لما جاء به وقد آل الامر بهولاء
الضالين المضلين الى ان شرعوا للقبور حجا ووضعوا له مناسك حتى
صنف بعض غلاتهم في ذلك كتابا وسماه مناسك حج المشاهد تشبيها
منه للقبور بالبيت الحرام ولا يخفى ان هذا مفارقة الدين الاسلام ودخول
في دين عباد الاصنام فانظروا الى ما بين ما شرعه النبي عليه السلام في القبور
من النهي عما تقدم ذكره وبين ما شرعه هولاء وما قصدوه من التباين العظيم
ولا ريب ان في ذلك من المفاسد ما يعجز الانسان عن حصره منها تعظيمها
الموقع في الافتتان بها ومنها تفضيلها على المساجد التي هي خير البقاع واحبها
الى الله فانهم اذا قصدوا القبور يقصدونها مع التعظيم والاحترام والخضوع
والخشوع ورقة القلب وغير ذلك مما لا يفعلونه في المساجد ولا يحصل لهم فيها

نظيره ولا مثله ومنها اتخاذ المساجد والسرج عليها ومنها العكوف عندها وتعليق
الستور عليها واتخاذ السدنة يرجون بها حتى ان عبادها يؤثرون المجاورة
عندها على المجاورة عند المسجد الحرام ويرون سدانتها افضل من خدمة المساجد
ومنها النذر لها ولسدنتها ومنها زيارتها لاجل الصلاة عندها والطواف
بها وتقبيلها واستلامها وتعفير الخدود عليها واخذ ترابها ودعاء اصحابها
والاستغاثة بهم وسوالهم النصر والرزق والعافية والولد وقضاء الديون وتفريج
الكربات وغير ذلك من الحاجات التي كان عباد الاصنام يسالونها من
اوثانهم وليس شيء منها مشروعًا باتفاق ائمة المسلمين اذ لم يفعل شيئا منها
رسول رب العالمين ولا احد من الصحابة والتابعين وسائر ائمة الدين ومن
المحال ان يكون شيء منها مشروعًا وعملا صالحا ولا يعرف عنه القرون الثلثة
التي شهد فيهم النبي عليه السلام بالصدق والعدالة وتظفر به الخلوف الذين
شهد فيهم النبي عليه السلام بالكذب والفسق فمن كان في شك من هذا فلينظر
هل يمكن بشر على وجه الارض ان ياتي عن احد منهم بنقل صحيح او ضعيف
انهم كانوا اذا بدت لهم حاجة قصدوا القبور فدعوا عندها وتمسحوا بها فضلا ان
يصلوا عندها او سالوا الحوائج منها كلا لا يمكنهم ذلك بل انما يمكنهم ان ياتوا
بكثير من ذلك عن الخلوف التي خلفت من بعدهم ثم كلما تاخر الزمان
وطال العهد كان ذلك اكثر حتى وجدت من ذلك عدة مصنفات
ليس فيها عن النبي عليه السلام ولا عن خلفائه الراشدين ولا عن الصحابة
والتابعين حرف واحد بل فيها من خلاف ذلك كثير من الاحاديث

المرفوعة

المتوهم [illegible] بها اما قوله عليه السلام كنت نهيتكم عن زيارة القبور
ألا فزوروها وان يزور فليزر فلا تقولوا هجرا اي فحشا واي فحش اعظم من الشرك
عندها قولا وفعلا واما الآثار من الصحابة فاكثر من ان يحاط بها فمن جملتها
ما في صحيح البخاري ان عمر بن الخطاب رأى انس بن مالك يصلي عند قبر
فقال القبر القبر قال ابن القيم في اغاثته هذا يدل على انه كان من المستقر عندهم
ما نهاهم عنه نبيهم من الصلاة عند القبور وفعل انس لا يدل على اعتقاده
جوازه اذ يحتمل ان لم يره او لم يعلم انه قبر او ذهل عنه فلما نبهه تنبه ومنها اتخاذها

عمر نبهه م

عيدا كما اتخذ المشركون من اهل الكتاب قبور انبيائهم وصلحائهم عيدا فانهم
كانوا يجتمعون لزيارتها ويشتغلون باللغو والطرب فيها فنهى النبي عليه السلام
امته عن ذلك كما روي عن ابي هريرة انه عليه السلام قال لا تجعلوا قبري عيدا
فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم فان قبره عليه السلام مع كونه سيد
القبور وافضل قبر على وجه الارض اذا وقع النهي عن اتخاذه عيدا فقبر غيره
كائنا من كان اولى بالنهي ثم انه عم اشار بقوله فصلوا علي فان صلاتكم
تبلغني حيث كنتم الى ان ما يناله من امته من الصلوة والسلام عليه يحصل له
مع قربهم من قبره وبعدهم عنه فلا حاجة لهم الى اتخاذه عيدا اذ في اتخاذ
القبور عيدا من المفاسد ما لا يعلمه الا الله تعالى فان غلاة متخذيها عيدا اذا
رأوها من مكان بعيد ينزلون عن دوابهم ويكشفون عن رؤوسهم ويضعون
جباههم على الارض ويقبلون الارض ثم انهم اذا وصلوا اليها يصلون
عندها ركعتين ثم ينتشرون حول القبر طائفين به تشبيها له بالبيت

الحرام الذي جعله الله تعالى مباركا وهدى للانام ثم يأخذون [illegible] للتعظيم والاستلام
كما يفعل الحاج في المسجد الحرام ثم يعفرون عليه جباههم وخدودهم ويعملون
مناسك حج البيت بالحلق والتقصير ثم يقربون لذلك الوثن القرابين
فلا يكون صلواتهم ونسكهم وقربانهم وما يراق هناك من العبرات ويرتفع
من الاصوات والطلب من الحاجات وسؤال من تفريج الكربات واغناء
ذوي الفاقات ومعافات اولي العاهات والبليات الا لتلك التماثيل والشيطان
فان الشيطان لبني آدم عدو مبين يصدهم بانواع مكائده عن الطريق المستقيم
ومن اعظم مكائده ما نصبه للناس من الانصاب التي هي رجس من عمل
الشيطان وقد امر الله المؤمنين باجتنابها وعلق فلاحهم بذلك الاجتناب
فقال يا ايها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل
الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون فالانصاب جمع نصب بضمتين او جمع
نصب بالفتح والسكون وهو كل ما نصب وعبد من دون الله تعالى من شجر
او حجر او قبر او غير ذلك والواجب هدم ذلك كله ومحو اثره كما ان عمر لما
بلغه ان الناس يتناوبون الشجرة التي بويع تحتها النبي عليه الصلاة والسلام
ارسل اليها فقطعها فاذا كان عمر فعل هذا بالشجرة التي بايع الصحابة رسول الله
صلى الله عليه وسلم تحتها وذكرها الله تعالى في القرآن حيث قال لقد رضي الله
عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فما ذا يكون حكمه فيما عداها من هذه
الانصاب التي قد عظمت الفتنة بها واشتدت البلية بسببها وابلغ من ذلك
انه عليه السلام هدم مسجد الضرار ففي هذا دليل على هدم ما هو اعظم فسادا

منها المساجد المبنية على القبور فان حكم الاسلام فيها ان تهدم كلها حتى تساوى
بالارض وكذا القباب التي بنيت على القبور يجب هدمها لانها اسست على
معصية الرسول ومخالفته وكل بناء اسس على معصية الرسول ومخالفته فهو
بالهدم اولى من مسجد الضرار لانه عليه السلام نهى عن البناء على القبور ولعن المتخذين
عليها المساجد فيجب المبادرة والمسارعة الى هدم ما نهى عنه رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولعن فاعله وكذا الكل يجب ازالة كل قنديل وسراج وشمع اوقدت
على القبور لان فاعل ذلك ملعون بلعنة رسول الله عليه السلام وكل ما لعن فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من الكبائر ولهذا قال العلماء لا يجوز ان ينذر
للقبور شمع ولا زيت ولا غير ذلك فانه نذر معصية لا يجوز الوفاء به بل
يلزم الكفارة مثل كفارة اليمين ولا ان يوقف عليها شيء من ذلك فان
هذا الوقف لا يصح ولا يحل اثباته وتنفيذه وقال الامام ابو بكر الطرطوسي انظروا
رحمكم الله تعالى اينما وجدتم شجرة تقصدها الناس ويعظمونها ويرجون البرء والشفاء
من قبلها ويضربون بها المسامير والخرق فهي ذات انواط فاقطعوها وذات
انواط شجرة للمشركين كانوا يعلقون عليها اسلحتهم وامتعتهم ويعكفون
حولها كما روى البخاري في صحيحه عن ابي واقد الليثي انه قال خرجنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم قبل حنين ونحن حديث عهد بالاسلام وللمشركين سدرة
يعكفون حولها وينوطون بها اسلحتهم وامتعتهم يقال لها ذات انواط فمررنا بسدرة
فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط كما لهم ذات انواط فقال النبي صلى الله عليه
وسلم الله اكبر هذا كما قال بنو اسرائيل اجعل لنا الها كما لهم آلهة ثم قال انكم قوم

تجهلون لتركبن سنن من قبلكم فاذا كان اتخاذ هذا الشجر لتعليق الاسلحة والعكوف
حولها اتخاذ اله مع الله تعالى مع انهم لا يعبدونها ولا يسألونها شيئا فما الظن
بغيرها مما يقصده الناس من شجر او حجر او قبر يعظمونه ويرجون منه الشفاد
ويقولون ان هذا الشجر او هذا القبر يقبل النذر الذي هو عبادة وقربة ويتمسحون
بذلك النصب ويستلمونه ولقد انكر السلف التمسح بحجر المقام الذي امر الله تعالى
ان نتخذ منه المصلى كما ذكره الازرقي عن قتادة في قوله تعالى واتخذوا من مقام
ابراهيم مصلى قال ان الناس امروا ان يصلوا عنده ولم يؤمروا ان يمسحوه بل
اتفق العلماء على انه لا يستلم ولا يقبل الا الحجر الاسود واما الركن اليماني فالصحيح انه
يستلم ولا يقبل وهكذا الشيطان في كل حين وزمان ينصب لهم قبر رجل
معظم يعظمه الناس ثم يجعله وثنا يعبد من دون الله تعالى ثم يوحي الى اوليائه ان من
نهى عن عبادته وعن اتخاذه عيدا او عن جعله وثنا فقد تنقصه وهضم حقه فيسعى
الجاهلون في قتله وعقوبته ويكفرونه وما ذنبه الا انه امر بما امر الله تعالى ورسوله ونهى
عما نهى الله تعالى ورسوله عنه والذي اوقع عباد القبور في الافتتان بها امور منها
الجهل بحقيقة ما بعث الله تعالى رسوله ومن تحقيق التوحيد وقطع اسباب الشرك
فالذين قل نصيبهم من ذلك اذا دعاهم الشيطان الى الفتنة بها ولم يكن لهم ما يبطل
دعوته استجابوا له بحسب ما عندهم من الجهل وعصموا منه بقدر ما معهم من العلم
ومنها احاديث مكذوبة وضعها على رسول الله صلى الله عليه وسلم اشباه عباد
الاصنام من المقابرية وهي تناقض ما جاء به من دينه كحديث اذا تحيرتم في
الامور فاستعينوا من اهل القبور وحديث اذا اعيتكم الامور فعليكم باصحاب

القبور

القبور او حديث لو حسن احدكم ظنه بحجر نفعه وامثال هذه الاحاديث التي هي مناقضة
لدين الاسلام وضعها عباد الاصنام من المقابرية وراجت على الجهال
والضلال وكيف والله تعالى انما بعث رسوله ليقتل من حسن ظنه بالاحجار والاشجار
فانه عليه السلام حسم مادة الفتنة بالقبور بكل طريق ومنها حكايات حكيت
عن اهل تلك القبور ان فلانا استغاث بالقبر الفلاني في شدة فخلص منها
وفلان نزل به ضر فاستدعى صاحب ذلك القبر فكشف ضره وفلان دعا في
حاجة فقضيت حاجته وعند السدنة والمقابرية شيء من ذلك يطول
ذكره وهم من اكذب خلق الله على الاحياء والاموات والنفوس مولعة بقضاء
حوائجها وازالة ضرورتها لا سيما من كان مضطرا ان يتسبب بكل سبب
وان كان فيه كراهة ما فاذا سمع ان قبر فلان ترياق مجرب تميل اليه فيذهب
فيه ويدعوا عنده بحرقة وذلة وانكسار فيجيب الله تعالى دعوته لما قام بقلبه من الذلة
والانكسار لا لاجل القبر فانه لو دعا كذلك في الخانة والحمام والسوق
لاجابه فيظن الجاهل ان للقبر تاثيرا في اجابة تلك الدعوة ولا يعلم ان الله
يجيب دعوة المضطر ولو كان كافرا فليس كل من اجاب الله تعالى دعاءه يكون راضيا عنه
ولا محبا له ولا راضيا عنه ولا محبا له ولا راضيا عنه بفعله فانه يجيب دعاء البر والفاجر
والمؤمن والكافر يسر الله تعالى من الدعاء والعمل بان يكون موافقا لرضاه
بلطفه وكرمه

المجلس الثامن عشر

في اقسام البدع واحكامها وغيرها
من الامور المهمة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما بعد فان خير الحديث كتاب الله
وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها وكل محدث بدعة وكل بدعة

ضلالة والمراد بالبدعة المذكورة في هذا الحديث البدعة السيئة التي ليس لها من الكتاب
والسنة اصل وسند ظاهر او خفي ملفوظ او مستنبط لا البدعة الغير السيئة التي لها
على اصل وسند ظاهر او خفي فانها لا تكون ضلالة بل قد تكون مباحة كاستعمال المنخل
والمواظبة على اكل لب الحنطة والتشبع منه وقد تكون مستحبة كبناء المنارة وتصنيف
الكتب وقد تكون واجبة كنظم الدلائل لرد شبهة الملاحدة والفرق الضالة
لان البدعة لها معنيان احدهما لغوي عام وهو المحدث مطلقا سواء كان
من العادات او من العبادات والثاني شرعي خاص وهو الزيادة في الدين او النقصان
منه بعد الصحابة بغير اذن من الشارع لا قولا ولا فعلا لا صريحا ولا اشارة فانها في الحديث
وان كانت عامة تشمل جميع المحدثات لكن عمومها ليس بحسب معناها اللغوي
العام بل عمومها بحسب معناها الشرعي الخاص فلا تتناول العادات اصلا بل تقتصر على
بعض الاعتقادات وبعض الصور العبادات لانه عليه الصلاة والسلام لم يبعث
لتعليم امر الدنيا وانما بعث لتعليم امر الدين يدل عليه قوله عليه السلام انتم
اعلم بامور دنياكم اذا امرتكم بشيء من امر دينكم فخذوا به ثم البدعة في الاعتقاد
بعضها كفر وبعضها ليس فوقها الا الكفر والبدعة في العبادة وان كانت دونها
لكن فعلها عصيان وضلال لا سيما اذا صادفت سنة موكدة واما البدعة في العادة
وليس في فعلها عصيان وضلال بل ترك الاولى فتركها اولى اذا تقرر هذا فالمنارة
عون للاعلام وقت الصلوة وتصنيف الكتب عون للتعليم والتبليغ ونظم
الدلائل لرد شبهة الملاحدة والفرق الضالة نهي عن المنكر وذب عن الدين
فكل منها ماذون فيه بل مامور به لان البدعة الغير السيئة ما لم يخالف الاوائل

هذا الحديث من صحاح المصابيح رواه جابر وفي حديث آخر رواه العرباض بن سارية انه عليه السلام قال من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة صح

بكفر لكنها اكبر من كل كبيرة حتى القتل والزنا وليس صح

ثم احتاج

ثم احتياج الیه لما اخره وراه حسنا علی سبیل الاجماع بلا خلاف ولا نزاع وعند
الاستقراء ای لا توجد تلک البدعة الغیر السیئة فی العبادات الدینیة المحضة کالصوم
والصلوة والزکواة وقرارة القران واوصاف کل منها بل لا تکون البدعة
فیها الا سیئة لان عدم وقوع الفعل فی الصدر الاول لیس الا لعدم الحاجة
الیه او لوجود مانع منه او لعدم التنبیه له او للتکاسل عنه او لکراهته وعدم مشروعیته
والاولان منتفیان فی العبادات من الدینیة المحضة لان الحاجة الی التقرب
الی الله تعالی بالعبادت لا ینقطع وبعد ظهور الاسلام وغلبة اهله لم یکن منها مانع
وکذا عدم التنبیه لها او التکاسل عنها منتفیان ایضا اذ لا یجوز ان نظن ذالک
للنبی علیه الصلواة والسلام وجمیع اصحابه فلم یبق الا کونها بدعة مکروهة غیر
مشروعة وبهذا المعنی اراد عبد الله بن مسعود بما اخبر بالجماعة الذین کانوا
یجلسون بعد المغرب وفیهم رجل یقول کبروا الله کذا وکذا وسبحوا الله کذا وکذا
فیفعلون بحضرهم فلما سمع ما یقولون قام فقال انا عبد الله بن مسعود فوالله
الذی لا اله غیره لقد جئتم ببدعة ظلماء او لقد فقتم علی اصحاب محمد علیه السلام
علما یعنی ان ما جئتم به اما ان یکون بدعة ظلماء او انکم تدارکتم علی الصحابة ما فاتهم
لعدم تنبههم له او لتکاسلهم عنه فغلبتموهم من حیث العلم بطریق العبادة والثانی
منتفیة فتعین الاول وهو کونه بدعة ظلماء وکذا یقال لکل من اتی فی العبادات
الدینیة المحضة بصفة لم یکن فی زمن الصحابة اذ لو کان وصف العبادة
فی الفعل المبتدع یقتضی کونه بدعة حسنة لما وجد فی العبادات ما هو بدعة
مکروهة وقد وجد فیها البدعة المکروهة علی ما صرح العلماء فی تصانیفهم مثل

صلوة الرغائب والجماعة فيها ومثل الفضلية والروضية والتلحين في اثناء الخطبة
وانواع النغمات الواقعة فيها وفي الاذان وقراءة القران ومثل الجهر بالذكر امام
الجنازة وقدام العروس في الطرقات وغير ذلك من البدع المنكرة
الواقعة في العبادات وليس لاحد ان يقول انها ليست من قبيل البدعة السيئة
المكروهة بل هي من قبيل البدعة الحسنة المشروعة بدليل كون بعض الاشياء
المحدثة بعد الصحابة حسنا كبناء المدارس والربط والمنارات ونحوها من انواع
الخيرات التي لم تعهد في عهد الصحابة اذ يقال لم يثبت حسنه بالادلة الشرعية
الصحيحة فهو اما ان لا يكون بدعة فيبقى عموم العام في الحديثين على حاله او يكون
مخصوصا من هذا العام والعام الذي خص منه البعض دليل فيما عدا المخصوص
فمن ادعى ثبوت حسن العبادة المحدثة وكونها مخصوصة من هذا العام يحتاج
الى دليل يصلح ان يكون مخصصا لان عادة اكثر البلاد وقول كثير من الزهاد
والعباد ليست مما يصلح ان يكون معارضا لكلام الرسول عليه الصلوة والسلام
وكذلك الدليل المخصص هو الدليل الشرعي من الكتاب والسنة والاجماع الذي هو
مختص باهل الاجتهاد ومن ليس من اهل الاجتهاد من الزهاد والعباد فهو في حكم
العوام لا يعتد بكلامه الا ان يكون موافقا للاصول والكتب المعتبرة وهذه قاعدة
دلت عليها السنة والاجماع مع ان في كتاب الله تعالى ما يدل عليها ايضا وهو انه
تعالى قال ام لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم ياذن به الله تعالى فمن احدث شيئا
يتقرب به الى الله تعالى من قول او فعل من غير ان شرعه الله تعالى فقد شرع من الدين
ما لم ياذن به الله تعالى فمن تبعه فقد اتخذه شريكا ومعبودا كما قال الله في حق اهل الكتاب

اتخذوا احبارهم

اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله فقال عدي بن حاتم للنبي
عليه الصلوة والسلام ما عبدوهم فقال عليه السلام اطاعوهم فمن اطاع احدا
في دين لم ياذن به الله تعالى فقد عبده واتخذه ربا فعلم من هذا ان كل بدعة
في العبادات الدينية المحضة لا تكون الا سيئة وربما لا يفرق كثير من الناس
بين الحسنة والسيئة فيظنون ان كل ما استحسنته نفوسهم ومال اليه طباعهم يكون
حسنا فيعدون السيئة من الحسنة فقد خبطوا خبطا كخبط عشواء ولا يفرق
بين الورطة المهلكة والجادة المنجية في مشيها والضابط في هذا ان يقال
الناس لا يحدثون شيئا الا انهم يرونه مصلحة اذ لو اعتقدوا فيه مفسدة
لم يحدثوه فما يراه الناس مصلحة ينظر في السبب فاذا كان السبب امرا
قد حدث بعد النبي عليه السلام فح يجوز احداث ما يدعو الحاجة اليه كنظم الدلايل
فان السبب الداعي اليه ظهور الفرق الضالة فانهم لما لم يظهروا في عهده
عليه السلام لم يجتمع اليه واذا كان المقتضي لفعله موجودا في عصره عليه السلام
لكن ترك لعارض زال بموته عليه السلام فلذلك يجوز احداثه كجمع
القران فان المانع منه في حيوته صلى الله عليه وسلم كون الوحي لا يزال
ينزل فيغير الله تعالى ما يشاء فزال ذلك المانع بموته صلى الله عليه وسلم
واما ما كان المقتضي لفعله في عهده صلى الله عليه وسلم موجودا من غير وجود
المانع منه ومع ذلك لم يفعله صلى الله عليه وسلم فاحداثه تغيير الدين الله تعالى
اذ لو كان فيه مصلحة لفعله صلى الله عليه وسلم او حث عليه ولما لم يفعله صلى الله
عليه وسلم ولم يحث عليه علم انه ليس فيه مصلحة بل هو بدعة قبيحة سيئة

يحتج